

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات

٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة

تليفون ١٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

أحمد حسن الزيات

إدارة

بشارع الميدولي رقم ٣٢

طابن - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

المسدد ١٧٧ « القاهرة في يوم الاثنين ٩ رمضان سنة ١٣٥٥ - ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

زهرات على قبر

محمد فريد

بناسبة ذكره السابعة عشرة



ما كان أحقنا
ونحن نجني ثمرات
الجهاد ، ونمقد
أقواس النصر ،
ونصي بطولة
الزعماء ، ونحني
ذكرى الشهداء ،
أن نضع إكليلا من
الزهر الندي على
قبر الشهيد الأول
محمد فريد !

لقد استشهد

في مثل هذا الأسبوع الذي وقع فيه موافقة البرلمان على المعاهدة ،

فهرس المسدد

صفحة	فهرس المسدد
١٩٠١	محمد فريد ... : أحمد حسن الزيات ...
١٩٠٣	القلب للسكين ... : الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
١٩٠٥	الوم ... : الأستاذ إبراهيم عبدالقادر المازني
١٩٠٧	أثر البيئة في الأديين ... : الأستاذ نقرى أبو السعود ... العربي والانجليزى ...
١٩١٠	خطر الفاشية على ... : باحث دبلوماسى كبير ... سلام العالم ...
١٩١٣	نظرية النبوة عند الفارابى : الدكتور ابراهيم بيوى مدكور
١٩١٦	تقد ابن أبي عتيق ... : الأستاذ خليل هندواى ...
١٩١٨	في الحياة ... : الأستاذ السيد محمد زيادة ...
١٩٢٠	بشير عنوات ... : الأستاذ على الطنطاوى ...
١٩٢١	إلى الأستاذ محمد ... : الأستاذ محمد زروق ... عبد الوهاب ...
١٩٢٥	الفصل في نبوة النبي : الأستاذ عبد التعال الصبيدي
١٩٢٨	تاريخ العرب الأدبى ... : الأستاذ رينولد نيكسون ...
١٩٣١	هكذا قال زرادشت ... : تأليف نيفته وترجمة الأستاذ فارس
١٩٣٣	على شواطئ البسنور : الأستاذ محمد بهجة الأثرى ...
١٩٣٤	صاحبة زهرة (قصيدة) : أحمد فتحى مرسى ...
١٩٣٥	تذكرة سفر من طنطا ... : الأستاذ ابراهيم جلال بك ... إلى سفر (قصيدة) ...
١٩٣٧	أوجين أونيل الفائز بجائزة نوبل للأدب ...
١٩٣٧	جائزة نوبل للعلوم الطبيعية والكيمياء . وفاة شاعر مجرى كبير
١٩٣٨	في الأكاديمية الفرنسية . أبناء الزمن في أخبار الجن ...
١٩٣٨	فكرة العصية عند ابن خلدون ...
١٩٣٩	التأليف والترجمة للمسرح : ناقد الرسالة الفن ...

ولكنه تنكب طريق المترفين واتبع هادي القطرة ، فدخل به في سواد الشعب وقوته في أغلاله وشركه في ذلّه ، فدفعته الحيلة الحرة إلى أن يتطوع لأنهاضه بمجده ، ويتبرع لانتقاده بحاله ؛ ثم اتصل برسول الوطنية يومئذ مصطفى كامل ، فكان منه مكان أبي بكر من محمد ، ومصطفى النحاس من سعد ؛ رفع معه أوية الجهاد على سواعد الشباب القتية ، ثم خلقه على تكاليف الدعوة من جهد وبذل وتضحية ، فاستمر ينفخ فيما يشبه الرماح ، ويصيح فيما يقارب الجماد ، حتى اشتد عليه أذى المحتلين وكيد المنافقين فهاجر ناجياً بحريته وفكرته ؛ ولاذ بالأستانة يبتنى بها متنفساً لآمال مصر ، ومضطرباً لعزائم الشباب ، فكان في هذه المدينة ذات الأستار والأسرار والحفر قبساً من الحق الساطع الصانع يبعث في قلوب المصريين المهاجرين والطلاب الضوء والحرارة

كان يدعو شبابنا الوديع إلى الثقافة الحريية في المعاهد العسكرية التركية استمداداً لليوم الموعود والحدث المنتظر ؛ وكانت الحرب الكبرى قد انفجرت دواهبها على العالم يومئذ ، فحاول أن يكون لمصر من أعقابها الجبهة مغم . وكأنا دس عليه أهل الأفك ، أو عارضت أطباعه الترك ، فأنتمروا به ليحاكوه ، فخر خفية إلى برلين ؛ وهناك أراد الألمان على أن يكون وسيلة من وسائل الحرب السرية في الشرق ، فأبى عليه خلقه المريح وجوهره الحر أن يكون أداة ليعيش . وتفرق عنه الرفاق إلى موارد الرزق الممكنة ، وانقطع عنه المدد من مصر ومن غير مصر ، فعمل عمل الأجير ، وعاش عيش الفقير ، يتبلغ بما يمسك الرمق ، ويكتسى بما يسترا الجسم ، ويأوى إلى غرفة في بعض السطوح يكاد فيها المرض والفقر والوحدة والغربة ، حتى أدركه الموت البأس الخامل وهو في غيابة برلين المقهورة الباكية ، ليس فيه إلا فم يهتف للحرية ، وقلب يخفق لمصر !

إن فريداً كان مثال الفكرة السليمة والوطنية القويمة والرجولة الكاملة والتضحية الملوثة . بذل في سبيل الوطن ، ما بذل عثمان في سبيل الدين ، ثم كانت عاقبة أمره أن مات كمات عثمان شهيداً غير مفهوم ؛ ولكن الله جازى فريداً كما جازى عثمان : جعل اسمه للخلود وروحه للخلد !

محمد حسن الزيات

واحتفال الشعب بذكرى الضحايا ، فكيف غفل اللسان الذاكر وذهل الفؤاد العروف عن تحية المجاهد الصابر والمضطهد المهاجر والصريع الختسب ؟ وما أقل التحية للذين نفروا لخلاص الوطن لا يتغنون ثراء ولادعة ، وهاجروا في سبيل الحرية لا يجدون مراغماً ولا سمة ، ولفظوا أنفسهم في منازح الغربة ومضاجع البؤس حصرة فخرسة ! هذه دورهم ، كان للكرة في أفيائها مرآد ، وللنمة في أفنائها ربيع ، فتقوض فيها المجلس وانصرف عنها اللاجيء وتعاقب عليها مالك بعد مالك ! وهذه قبورهم ، تناوحت عليها سواقي الرياح فطمست الشاهد وأبهمت الأثر رتناهبا هالك بعد هالك ! وهذه ذكرياتهم ، ملأت السامع وعمرت القلوب حيناً من الدهر ، ثم أوشكت اليوم ليكنود الناس أن تفوض في لجج النسيان والتقدم ! وهذه أرواحهم ، كانت في المحن السود تباكرنا بالهزاء وتراوحنا بالأمل وتنادينا بالموتة ، ثم أقبلت ساعة النصر تحفق فخور مع العلم ، وتصفق مؤيدة مع البرلمان ، وتهتف مبتهجة مع الأمة ، ولكنها لم تسمع وأسفاه من بادلتها تحية برحمة ، وجازاها وفاء بدعاء !

إن الشريعة تسخ الشريعة ، والفكرة تطرد الفكرة ، والجديد يخلف القديم ، ولكن الجهاد في سبيل الوطن غاية لكل جيل في طريقها خطوة ، وبناية لكل عامل في إقامتها حجر ؛ والخطوة اللاحقة لا ترد الخطوة السابقة ، والحجر الأعلى لا ينتقض الحجر الأسفل . والمثل العليا من الرجال قليلة في عهدنا الحديث ؛ فما أولانا أن نضن بهم على الفناء ، فننصب تماثيلهم في كل ميدان ، وندرس تاريخهم في كل معهد ، ونرفع ذكرهم في كل مناسبة

واحسرتاه على حظ فريد من أمته ! حبس عليها ثروته ورضى بالجوع ، ورصد لها قوته وصبر على المرض ، وضحي لها أسرته وعاش على التشريد ، ثم كان نصيبه منها يراً لا يسهف ، وتقديراً لا يدوم ، وذكراً لا يتصل ، وقبراً لا يعرف !

كان فريد — برد الله ثراه وخلد ذكره — سليل مجد وربيب نعمة وحليف جاه ؛ وكان سبيله في الحياة سبيل كل أمير وكل كبير : يفتصب ثروته من عرق العامل ، وقوته من دم الفقير ، وممرته من دمع البأس ، وجبروته من ظلم الضعيف ؛

وقد يصفرُ العاشقُ لباغثة اللقاء كما يصفرُ لباغثة المجر ،
وهذه كانت حال صاحبنا عند ما رآها مقبلةً عليه ؛ وكان مع ذلك
يخشى إلسامها به توكياً على نفسه من ظنون الناس ، وأكثرت
ما يحسنه الناس هو أن يسبوا الظن ؛ وهو رجل ذو شأن ضخم
ومقالة السوء إلى مثله سريفة إذا رؤى مع مثلها . وكأنيها هي
ألت بكل هذا أو طالها به وجهه التوتّر التزمّت ؛ فعدلت
عن طريقها إلينا ووقفت على رئيس فرقة الموسيقى وما بيننا وبينها
إلا خطوات . ورأيتها قد هيات في عينيها نظرة غاضبتنا بها
ثم لم تلبث أن صالحتنا بأخرى

وكأنيها ألت رئيس الموسيقى أمراً ليتأهب أهبتة لدورها
ثم همت أن ترجع ، ثم عادت إليه فجعلت تكلمه وعيناها
إلينا ، فقال صاحبنا وأهجه ذلك من فعلها : إنها نبيلة حتى
في سقوطها

ولا أدري ماذا كانت تقول لرئيس الموسيقى ، ولكن هذا
الرجل لم يظهر لي وتشد إلا كأنه تليفون معلق

كانت عيناها إلى صاحبها لا تنزلان عنه ولا تتحولان إلى
غيره ، ولا تُسارقه النظر بل تغالبه عليه مغالبة ؛ ورأيته كذلك
قد ثبتت عيناها عليها فخيّل إلى أن هذا الوجود قد انحصر جماله
بين أربمة أمين عاشقة ؛ وكانت تطارحه ويطارحها كلاماً مخبوءاً
يحت هذه النظرات وقد نسي ما حولها وشعراً بما يشعر به كل
حبيبين إذا التقيا في بعض لحظات الروح السامية : أن هذا العالم
العظيم لا يعمل إلا لاتنين فقط : هو وهي

وكان فيها الجليل لا يزال يُساقط ألفاظه لرئيس الموسيقى ،
وكأنيها تسرد له حكاية مروية أو تمارض بمحافظة كلاماً بحفظه
من كلام التمثيل أو الغناء ؛ فهي تتحدث وعيناها مفكرات
شاخصتان ، فلم ينكر الرجل هيتها هذه ؛ ولكن كيف
كانت عيناها ؟

لقد أرادت في البدء أن تجعل قوة نظراتها كلاماً ، حتى
لحبت أن هذه النظرات الأولى تهتف من بعيد : أنت يا أنت
ثم بدا في عينيها فتور الظلمة : ظل الحب التكبر التمرد ،
لأنه حب المرأة المشوقة ، ولأن له لتنين : لإحدهما في أن يبق
ظلاً إلى حين . . .

ثم أرسلت الألفاظ التي تتوهج أحياناً فوق كلام المرأة

٤ - القلب المسكين

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

أما صاحب القلب المسكين فأكاد يرى الحبيبة وهي مقبلة
تتيممنا حتى يفتته ذلك فساوره القلق ، واعتراه ما يعتري المحب
المهجور إذا فاجأه في الطريق هاجره . أرايت مرة عاشقاً جفاه
الحبيب وامتنع عليه دهرأ لا يراه ، وصارمه مدة لا يكلمه ؛
فترع نومه من ليله ، وراحته من نهاره ، وديناه من يده ؛ وبلغ
به ما بلغ من السُّثم والضنى ؛ ثم بينا هو يمضي إذ باغته ذلك
الحبيب منحدرأ في الطريق

إنك لو أبصرت حينئذ قلب هذا المسكين لرأيت أنه على زلزلة
من شدة الحفقان ، وكأنه في ضرباته متلثم يكرر كلمة واحدة :
هي هي هي

ولو نفذت إلى حس هذا البائس لرأيت أنه يشعر مثل شعور
المحتضر أن هذه الدنيا قد نفتت منها

ولو اطلمت على دمه في عروقه لأبصرته غدولاً يتراجع
كأن الدم الآخر يطرده

إنها لحظة يرى فيها المهجور بيمينه أن كل شهواته في خيبة ،
فيرد عليه الحب مع كل شهوة نوعاً من الذل ، فيكون بازاء
الحبيب كاللهزم مائة مرة أمام الذي هزمه مائة مرة

لحظة لا يشعر المسكين فيها من البتة والتخاذل والاضطراب
والخوف إلا أن روحه وثبت إلى رأسه ثم هوت فجاءة
إلى قدميه

غير أن صاحبنا نحن لم يكن مهجوراً من صاحبه ؛ ولكن
من مجائب الحب أنه يعمل أحياناً عملاً واحداً بالمعنيين
المختلفين ، إذ كان دائماً على حدود الاسراف مادام حباً ، فكل
شيء فيه قريب من ضده . والصدق فيه من ناحية مهرباً دائماً
لأن يقابل بهمة الكذب من الناحية الأخرى ، واليقين مُمدّ له
الشك بالطبيعة ؛ والحب نفسه قضاء على المدل ، فانه لا يخضع
لقانون من القوانين ، والحبيب — مع أنه حبيب — يخافه
عاشقه من أجل أنه حبيب

قلت : خَفَضَ عليك يا صاحب القلب المسكين فلست
أكثر من عاشق

قال : بل أنا مع هذه أكثر من عاشق ، لأن في العاشق
راغباً وفي أنا راغب ، وفيه الجريء وفي المنكش ، ويعترف
الفُرقة من الشلال المتحدِّر فيحسوها فيرتوى ، وأغترف أنا
الفُرقة بيدي ، وأبقىها في يدي ، وأطمع أن تهدي في يدي
كالشلال أنا أكثر من عاشق ، فأنه بعشق لينتهي من ألم
الجمال ، وأعشق أنا لأستمر في هذا الألم

هذه هذه . العجيب باصدبق أن خيال الانسان يلتقط صوراً
كثيرة من صور الجمال فجيء كما يتفق ، ولكنه يلتقط صورة
واحدة بأنتان عجيب هي صورة الحب ؛ فهذه هذه

ألم أقل لك إن إبليس هنا في غير حقيقته الأبلسية ولم
تفهم عنى (٢) ؟ فافهم الآن أننا إن كنا لا نرى الملائكة فانه ليخيل
الينا أننا نراها فيمن نجهم ؛ وما دام سر الحب يدلل الزمن
والنفس ويأتى بأشياء من خارج الحياة ، فكل حقائق هذا
الحب في غير حقيقتها

هذه هذه . لا أطلب في غيرها امرأةً أجمل منها ، فهذا
كالستحيل ، ولكني أؤمن فيها هي امرأةً أظهر منها ، وهذا
كالستحيل أيضاً . إنها أجمل جسم ، ولكن وأسفاه إنها
أجمل جسم للعمانى التي يجب أن أبتعد عنها

وسكتت صاحبتنا إذ رفعت ستارة المسرح وظهرت هي
مرة أخرى . ظهرت في زينة لا غاية بعدها تمثل المروس ليلة
جلاوتها . ألا ما أسرها ما سخريه منك أيتها المسكينة ! عروس
ولكن لمن ؟

كانت تشرق على المسرح كأنها كوكب درى نوره نورٌ وجمال
وعواطف شعر

وأقبلت تمايل بمجسم رخص لين مستمرل الأعطاف يتدفق
الجمال والشباب فيه من أعلاه إلى أسفله

وأظهر وجهها حسناً وأبدى جسمها حسناً آخر فتم الحسن
بالحسن

واقفة كالنائمة ، فالجؤ جؤ الأحلام ، وكان الحب يحلم ، وكان
السروذ يحلم

(٢) مر هذا المعنى في المقالة الثالثة

الجيلة في بعض حالاتها النفسية ، فتضرم في كلامها شرارةً من
الروح تظهر الكلام كأنه يُحرق ويحترق . . .

ثم توجهت النظرات لأنها تصلها بالرجل الذي لا يشبه
الرجال فلا يستوهب خضوعها ولا يشتره ؛ والرجل كل الرجل
عند مثل هذه المرأة هو الذي لا يشبه الباقين ممن تعرفهم ، فإذا
أحبها فكأنما أحبا عذراء خفيرة لم تمس ، وكأنه من ذلك
يصلها بماضيا وطهارتها وحياتها وما لا يمكن أن تتمثله إلا في
مثل حبه

ثم ذلبت عينها الجليتان ، وما هو ذبول عيني امرأة
تنظر إلى محبا ؛ إنه هو استسلام فكرها لفكره ، أو عناد معنى
فيها لمعنى فيه ، أو توكيد خاطرة تحتاج إلى التوكيد ؛ ومرة هو
كقولها : لماذا ؟ وتارة هو كقولها : أفهمت ؟ وأحياناً ، وأحياناً
هو انتهاء مقاومة

وتمت الحكاية الروية التي كانت تلقيا للتليفون .. فكرت
راجمة الى المسرح بعد أن صاحت نظراتها مرة أخرى كما بدأت :
أنت يا أنت ...

فقلت لصاحبتنا : وبمك يا عدو نفسه لو اختار الشيطان
عينين ساحرتين ينظر بهما اليك نظر الفتنة لما اختار إلا عينها
في وجهها ، في هيئتها ، في موقفها ؛ وأراك مع هذا كنتنظر
مالا يوجد ولا يمكن أن يوجد ؛ وأراها معك في جيبها كالحيوان
الأيلف إذا طمع في المستحيل

قال : وما هو المستحيل الذي يطمع فيه الحيوان الأليف ؟
قلت : ذلك حين يطمع في أن تكون له حقوق على صاحبه
فوق الألفة والمنفعة

قال : لقد أغمضت في العبارة بيني لي شيئاً من البيان
قلت : هب كلبة تألف صاحبها وتبجه فهي له ذليلة مطواع ،
ثم يبلغ بها الحب أن تطمع في أن يكون لها تمام الشرف ، فلا يقول
صاحبها عنها هذه كلبتي ، بل يقول هذه زوجتي ...

قال : وى منك ، وى منك (١) ؛ لقد ضربت على رأس
المبار كما يقولون . هذا هو المستحيل الذي بيني وبينها ، هذا هو
المثل . يا لفظ الحلوى ، يا لفظ الحلوى ؛ لو كرتك بلساني ألف
مرة ، فهل تضع في لساني طعمها ... ؟

(١) أى يجب يتمجب من فطنته

اشتهاء القبلات الطويلة ، ولا أراهن يفضين لذلك أو يتجهمن ، أو حتى يتكافن العبوس والقطوب ، بل تشرق وجوههن ويشيع فيها البشر ، وتومض عيونهن وميض الجذل والافتباط والرضى ، وأنا أفضل ذلك لأسرهن وأشرح صدورهن ولأهرب من إبداء الرأي في كلام لا أرى له قيمة أو وزناً فننتقل بسمولة إلى حديث آخر نخوض فيه ، ونطوى الورقات وتدس في الحقائق ، ونحن نسمح بالكلام ، ثم ينصرفن راضيات مسرورات شاكرات ، وأبقى أنا أو أذهب ، ولا أكون قد رددت نفسي على مكروهاها وقد جربت الناس فلم أجد ما يريح مثل الاجترأ عليهم .

كنت في بعض مامر في مضطراً إلى الاتصال في عملي برجل سريع البادرة عظيم الغرور متقلب الرأي فلاراحة لانسان معه ، وآثرت اللابئة في أول الأمر وقلت : أسايره خطوة أو خطوات لأجره باللباقة والكياسة إلى حيث أريد من حيث لا يشعر هو . فكان يقطن إلى حيلتي في بعض الطريق فينبو في الزمام ، فخطرت لي أن المنطق والحجة لعلهما أجدي ، فصرت أجاده بالتي هي أحسن ولكن بالبرهان والبينة ، فكان يتعلم ويتأفف ولا يكتم خبره مني وكراهته للجاجتي ، فضاقت صدري يوماً وخرجت معه من طوري - على نذرة ذلك جداً - ولم أستطع أن أملك زمام نفسي ، فأسمت من رأيي فيه ما أعتقد أنه أوجع ما سمع في حياته ، فإراعتي إلا استخذاؤه والآن أنه أذعن ، وراح بمد ذلك يتق أن يثير غضبي ويخشي بادرتي أشد الخوف . فاسترحت

وقد يظن القارى أني أشير بالتوقع على الناس وسوء الأدب معهم ، وما أريد شيئاً من هذا ، وإنما أقول إن احترامك لغيرك لا ينبغي أو يمنع أن تحترم نفسك ؛ ومن احترام النفس أن تكون صريحاً وحازماً ، والصراحة والجرأة ليس معناها قلة الأدب ، فأنتك تستطيع أن تذهب في الصراحة إلى أبعد مدى وأن تتحفظ مع ذلك بالأدب . ومتى عرف الناس فيك الصراحة ألفوا منك الشجاعة ، اقتنموا بذلك ووطنوا أنفسهم عليه وأعفوك من كثير مما تكره وقد قص على بعضهم حكاية شاب اتخذت منه زوجته دابة ، فهو لا يفعل إلا ما تأمر ، ولا يخرج أو يدخل أو يقوم أو يقعد أو يأكل أو يشرب إلا إذأذنت له ، وقيل لي إنهما هي التي تنتق له ثيابه وتختار له ما يواظمها من قيص وربطة وحذاء إلى آخر ذلك . وتأمره فيصادق هذا ويخاصم أو يمادي ذلك ، ويصل فلاناً ويقاطع فلاناً ، فمجيبت ا وسألت محدث : وماذا

الوهيم

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

أكثر ما يقعد بالانسان عن الطلب ، أو يصدده عن السعي أو يصرفه عن الأقدام ، وهم لا حقيقة ؛ وقل أن يقدم الذي يطول تفكيره ومشاورته لنفسه ؛ ويندر أن يفوز بالطيبات في هذه الدنيا إلا الجسور أو « الفاتك الحج » كما يقول بشار ، أي الذي لا يتردد ولا يضيع الوقت والفرص في الموازلات والمعادلات وحساب العواقب والنفيات

تكون مع المرأة التي تحبها ، فتحدثك نفسك أن تبنيها ما تبني ، أو على الأقل أن تنني على جالها أو ذوقها في اختيار ثيابها . فتتردد مخافة أن يسوء وقع ما تقول في نفسها وأن تمد ذلك منك نسجياً واجترأ عليها ، فتحجم ، وتمتعض هي ، لأنك بخيت أملها فيك ورجاءها عندك . وقد لا تحب المرأة الرجل ، ولكنه لا يسوءها منه أن تعرف أنه يحبها ، ولا ينقل عليها أن يثنى بما يعلم وما يتخيل أيضاً ؛ والمرأة تنتظر من الرجل أن يشعر بجالها وأوثنها قبل أن يشعر بمقلها أو علمها أو أدها أو غير ذلك مما يجري هذا الجرى . وكثيراً ما تقرأ لي الفتيات ما يكتبن أو يشدنني ما ينظمن ، حتى إذا فرغن من التلاوة تمدت أن أهل ما سمعت منهن وذبت أصف لمن ما وقع في نفسي من سوتهن وهيتهن ومن يقرآن ، وكيف كان النسيم يبعث بذلك الثوب ويكشف عن سيقانهم البضة ، وكيف أن خصورهن كن يفرين بالتطويق ، وشفاهن وهي تتحرك وتاتق وتفترق ، وتختلج من فرط التأثر بالماني الصورة في الكلام ، تحمل على

مهزة كاللوج في الموج . هل خلقت روح البحر في جسمها التراجع فتشء يملو وشيء يهبط وشيء يثور ويضطرب ؟ ثم دقت الموسيقى بألحانها المتكلمة ، ودقت أعضاء هذا الجسم بألحانها المتحركة ، وأحسننا كأن روح الحديقة جالسة بيننا تنظر إليها وتمتعج . تتمعج من قوامها للفنن الحى ، ومن بدنها للزهر الحى ، ومن عطرها للنسيم الحى

أما صاحب القلب الساكن ؟

عزلة في قعر

(يتبع)

وأريده ويسرني أن أراه منه ، لأنه يهاب ذلك السلطان الذي
درج على الكبارى والاقرار له منذ الصغر . فهو لا يزال طفلاً
بالقياس إلى فيما أرى ، وإنه لكذلك إذا اعتبرنا التجربة والعلم
وما إلى هذا ولكن وهم الأبوّة ، أو سلطانها ، أو لأدرى ماذا ،
بصده حتى عمالاً بأس منه ولا ضير ، ولا عيب فيه ، ولا خوف
من الزجر عليه . وأنا أيضاً كنت طفلاً — كما لا أحتاج أن
أقول — وكان هذا شأنى ، لأن للمادة سلطانها

ولو جرب الناس الشجاعة والأقدام لأدهشهم أن ما كانوا
يخافونه أو يتقونه أو يتوقعونه ، لا وجود له ، وأنه لم يكن سوى
وهم ليس إلا . وأكرر أنى لا أحض على تجاوز الحدود ، فليس
من حسن الأدب أن يكون المرء جباناً أو ذليلاً ، ولا من سوءه
أن يكون عارفاً بمحقوقه حريصاً عليها وجريئاً في سعيه وصريحاً
في قوله ، أى مخلصاً لنفسه ابراهيم عبد القادر المازنى

يخيفه منها ؟ أهو يخشى أن تأكله إذا اعترض أو أبى أو تمرد على
هذا السلطان ؟ فهز محدنى رأسه ولم يستطع أن يذكر لى سبباً
مقولاً . وما أزال إلى هذه الساعة عاجزاً عن تصور ما تستطيع
هذه المرأة أن تصنع إذا انتقض زوجها على هذا الاستبداد ؟ هى
وقفه واحدة يقفها الرجل فلا يسع امرأته إلا أن تلزم حدها
وتترك له حقه فى نفسه . وهذه الوقفة لا تحتاج إلى ثورة ،
ولا تتطلب أن تقوم قيامة البيت ، بل لعل الهدوء أحجى وضبط
الأعصاب أجدى . وما أظن امرأة تكبر رجلاً يكون عنانه فى
كفها الرخص ، ولا شك أنها لا تنفك تحتال لتخضعه من حيث
لا يشمر ولا يدري ، والرجل الرشيد يدرك ذلك ولا يخفى عليه
أنها تدور من ورائه لتحمله على ما تريد فيأين لها ليرضيها ويسدها
بالشعور بالنجاح وبجعلها بذلك أين فى يده من ناحية أخرى .
وحياة الرجل والمرأة مناوشات مستمرة ، ولعلها أشبه شيء
بالحرب التى تشنها المصائب التحصنة فى رؤوس الجبال على
الجيوش المنظمة . وقدرة الرجل وسطوته مترف بهما ، ولكن
المرأة لا تفر لها الاقرار التام ولا تزال تخنبي وتطلق قذيفتها .
وخير للرجل وأجلب لراحته أن يدع لها فرماً كافية لأصابة
الهدف ، فتسكن نفسها وترضى عن حالها ، وإلا دفعها إلى التمرد
الصريح . ولكنه ينبغي أن يكون له وجود وكرامة ، وإلا خسر
احترامها له . واحتفاظه بكرامته واستقلاله وحرية لا يكفنه
إلا أن توقن هى أنه لا خير فى محاولة إخضاعه لها .

وقد زاولت التعليم عشر سنين فما أذكر أنى احتجت يوماً
أن أعاقب تلميذاً ، ولو تمردوا على ما وسمنى شيء فأنى واحد وم
كثر ، ولو انتقضوا على نظام المدرسة لما استطاعت أن تكرمهم
عليه ، ولكن التليذ يتوم البأس والشوكة والسطوة والقوة ،
ويرهب ما يتوم ، ويطول عهده بذلك فيتقرر فى نفسه . وقد
كنت وأنا معلم لا أحجم من مصارحة تلاميضى بأن سلطان
المدرس خيالى ولا حقيقة له ، وأنهم لو شاهدوا لتناولوني وقذفوا
بى من النافذة ، وقذفوا بالمدرسين جميعاً وبالناظر أيضاً ورائى ،
وكنت أراهم يتسمون لما يسمون منى ، ثم يمودون الى ما ألتت
منهم من حسن الأصغاء وشدة الحرص على النظام

وكبر ابنى وصار أطول منى قامه ، وأنا الآن كهل وهو
شاب ، وقد توخيت فى تربيته أن أدعه حراً ، وأن أجعله يشعر
باستقلاله ، ومع ذلك لا أراه يجترىء الاجتراء الذى أتوقعه

لجنة التأليف والترجمة والنشر

ضحى الاستاذ

الجزء الثالث

للأستاذ

إبراهيم

يبحث فى عقائد الفرق الدينية فى العصر العباسى
الأول من معتزلة وشيعة ومراجئة وخوارج ، كما يبحث
فى التاريخ السياسى لكل فرقة وفى أدبها
يقع فى نحو ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير وثمنه
عشرون قرشاً عدا أجرة البريد

ويطلب من لجنة التأليف ومن المكاتب الشهيرة

أثر البيئة

في الأدبين العربي والانجليزي

للأستاذ فخري أبو السعود

نشأ العرب في البادية فجاءت لغتهم مشرقة الديباجة متينة البناء قوية التعبير غنية الاشتقاق منتظمة أوزان الشعر متعددها وحفلت بأسماء ظواهر الطبيعة البرية وحالاتها ، وأسماء حيوان البادية وأطوار حياته ، واشتقت تشبيهاً ومجازاتها وأمثالها من القمر والنجوم والكسب والقطا ، والسُنْبُوت الذي لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى ، وورود الماء بماء أكيس ، وإلقاء الحبل على الغارب . ولعدم ملاءمة البادية لغير الأدب من الفنون عظمت مكانته بينهم

واشتغل العرب في البادية بالتجارة ينقلونها بين الشرق والغرب ، فامتلات لغتهم بمصطلحات التجارة بعضها عربي وبعضها منقول عن الأمم التي بادلوها التجارة ، وامتلأ أديبهم بالتشبيهات المنزعة من أحوال التجارة : فالقرآن الكريم يكرر في غير موضع تشبيه الخير والشر بالنجدين ، وذكر الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم ؛ وعنترة يقول :

حصاني كان دلال الناي نفاض غمارها وشري وباعا
وبت حياة البادية في العرب صفات الحمية والشجاعة والحرية والألفة أن يدبوا للملك ، وظهر أثر كل ذلك جلياً في أديبهم ؛ وأشهر أمثلة ذلك معلقة عمرو بن كلثوم ، فهي ديوان العرب في الحماسة ؛ وأدى إياؤهم ودوام اتجاههم الكلا إلى استمرار المناوشات والوقائع بين قبائلهم ، وانعكس ذلك في مفاخراتهم ومنافراتهم ثراً وشعراً

وهذه الصفات الشفاء التي تلتزم حياة التبدى جمات العرب ينظرون شزراً إلى الزراعة والصناعة اللتين لم يكن لهما مجال في البادية ، ويحتقرون الزراع والصناع الذين تسترقهم الأرض وتستعبد المأدة ، ولا يرون الشرف والمزة إلا في رعي الأبل والتجارة والقتال . فالأخطل يصير بني النجار بمساحيم ، وآخر يفاخر غريمه فيقول :

لما الله ألامنا نسبا - وأجددنا أن ينفخ الكبير خاله -
يصوغ الشنوف والقروط يثيرا

والحق أن الشعر الجاهلي مهما يكن قد داخله من تزييف يمثل الجانب الاجتماعي من حياة العرب في الجاهلية تمثيلاً رائعاً ؛ ولا يمكن تصور حالة العرب في ذلك العهد إلا على

طبائع الانسان ومواهبه متائلة حينما حل من بقاع الأرض ، ومجتمعاته متشابهة الظواهر أبنيا قامت . تتشعب بين أفراد كل مجتمع إنساني عوامل التعاون والتنافس والتحاب والتباغض والطامع والمخاوف ، غير أن البيئة أثرها في تشكيل المجتمع الانساني الذي يحيط به ، بما تعرض أمام أبصاره وأذنه من مناظر ومسائل تحجب عنه غيرها ، وما تفرض عليه من أعمال يمارسها دون سواها ، ويكون لهذا وذاك أثره البين في لغة المجتمع وأدبه ، مقرونا إلى أثر الطبائع والمواهب التي تشترك فيها الأمم جماء

فلبينة في أدب كل لغة ثلاثة آثار بميدة المدى : فهي أولاً تؤثر في مبنى اللغة وأصواتها وألفاظها وتمايرها وتشبيهاها ومجازاتها وأمثالها السائرة وحكمها المتواترة ، فكل ذلك منترج من طبيعة الاقليم ؛ وهي ثانياً تؤثر في مهن المجتمع وعلومه وفنونه وعمرانه وينعكس كل ذلك في مرآة الأدب ؛ وهي أخيراً تعرض دائماً أبداً أمام أنظار الأدياء وحواصم مناظر طبيعية بذاتها ، تسترعى انتباههم وتستجيش نفوسهم وتلهمهم كل ما يوجد به قرائحهم في باب عظيم الخطر من أبواب الأدب هو باب الوصف الطبيعي وأثر البيئة في الأدبين العربي والانجليزي واضح رضوحاً شديداً يكاد لروعته يخفى أثر الطبيعة الانسانية التي تشترك فيها الأمتان ويتفق عندها الأدبان ، فإن تباين البيئتين تبايناً شديداً أدى إلى اختلاف اللغة والمهن والعمران والمناظر في المجتمعين ، وأدى بالتالي إلى اختلاف أشكال الأدبين وسورها ومواضيعهما وأساليبهما ؛ ويمكن إيجاز التعبير عن الفرق بين الأدبين بالقول بأن أحدهما شب في بيئة صحراوية والآخر ترعرع في بيئة بحرية

ما وصفت في أشعار طرفة ومهازل وأمثالها

أما مناظر البادية الطبيعية المتشابهة الشديدة الرطاة ، فيبدو أنها لم تُشربِ العرب من حب الطبيعة مقدار ما بثت في نفوسهم من رهبتها والحرص على اتقانها ، ولم تلهمهم من أشعارهم في وصف محاسنها قدر ما أوحى إليهم من أشعارهم في التأمل في أحوالها والاستعبار والخشوع ، فلا غرو لم تخرج الصحراء شعراء طبيعيين بصفون عاصم المناظر ، كذلك التي تحمل بها الألباظة والأوديسة ، وإنما أخرجت أنبياء وحكماء في شتى عصورها

وتحضرت الشعب الإنجليزي في جزيرة تحيط بها البحار ، وتجري فيها الأنهار ، وتخللها البحيرات ، وتتوالى عليها الأمطار والثلوج والسحاب والضباب ، ويتعاقب فيها الصحو والدجن ، وتنتشر في أرجائها الغابات والآجام ، وتتناوب فيها الربى والقيمان ، فامتلات لنفوسهم بأوصاف البحر والغاب ، وأسماء ما أسكنوها من جان ، واشتقت منهما تشبيهاتهم وأمثالهم ، فاستعير الضباب لحالة الشك والابهام ، والسحاب للحزن والقلق ، وقالوا في أمثالهم إن الوقت والمد لا ينتظران إنسانا ، وحلت السفينة من مخيلتهم ما كان للجمل لدى العرب من منزلة : فيينا ترى حسان يشبه تراقص الحمر في إنانها بهادي الناقة المرعة فيقول :

بزجاجة رقصت بمقام قمرها رقص القلوص براكب مستعجل
يُشبه ملتون « دليلا » وهي شاخصة في عظم جرمها وتمام
زينتها وعتادها الى « مسمون الجبار » لاختراده عن سر قوته
بالسفينة المنشورة الشراع

وامتلات قلوب الإنجليز بحب البحر ، وظهر أثر ذلك في أدبهم في كل المصور : في روايات شكسبير كالمصافة وتاجر البندقية ، وفي تواريخ أمراء البحر الإنجليز ككتاب « وستورد هو ا » الذي سماه مؤلفه كنجزل باسم البلدة التي أنجبت معظم أولئك البحازين الذين يسمون بأفناد ديثون ، وككتاب سوذى عن نلسون ، والروايات الخرافية عن البحارة الذين لاقوا الأهوال وطوفوا في مسالك البحار ، أمثال روبنسون كروزو ، واسكندر سلكر ، وجليفير ؛ وأوصاف البحر وقصصه تكون جانباً كبيراً مما يمرق بأدب الأطفال

ولم يشغف الإنجليز بالبحر وحده ، بل بالماء حيث حل من البقاع ، وأياً اتخذ من الأشكال ، فهاموا حبا بالأنهار والبحيرات ، ونال اقليم البحيرات في غرب إنجلترا مكانة سامية في قلوب شعراء الإنجليز ، واتخذ شعراء النهضة الرومانسية مستراداً ومقاماً ، وحفلت دواوينهم بأوصافه ومحاسنه ، فحل في إنجلترا محل جبال برناس التي كانت ترادها آلهة الشعر في بلاد اليونان وحفل الأدب الإنجليزي كذلك بذكر الغاب ووصفه في مختلف أوقات العام ، واتخذ مسرحاً لروايتي « كاتشا » و« حلم ليلة في منتصف الصيف » لشكسبير ، وفي الأخيرة تخرج الحقيقة بالخيال ، وتختلط الانامى برانس الغاب وعفاريته ، وفي تلك العرائس المتخيلة نظمت أشعار كثيرة ، وفي تلك الغابات كان يمشى روبن هود وجماعته ذات الواقع الممتعة ، وبالجملة بثت طبيعة بلاد الإنجليز التمده المناظر والحالات ألغة الطبيعة والشغف بها في نفوس الإنجليز ، فاحتلت من أدبهم موضعاً مكيناً

ولوقع الجزيرة وإحاطة البحار بها اشتغل الإنجليز بالتجارة ، يتقلونها بين العالمين القديم والجديد ، وقد مارسوها بجرأ على حين مارسها العرب برأ ، فدخلت تسميراتها وأوصافها في أدبهم ؛ واشتغلوا بالزراعة للامة الاقليم وحفل جانب من أدبهم بوصف سكان القرى والبلدان الريفية ، وحياتهم ومجتمعاتهم ، وكثر ذلك خاصة في المصور الحديثة حين تقدم فن القصص وازداد التفات الأدباء إلى الحياة اليومية والطبقات الوسطى والدنيا . ومن خير أمثلة ذلك روايات جين أوستن وتوماس هاردي ؛ واشتغل الإنجليز كذلك بالصناعة الكبيرة لوفرة المادان في بيئتهم ، فقام نوع من الأدب يدرس مشاكل الصناعة ويصور مجتمع الصناع ، وانصرف بعض الروائيين ، كأرنولد بنيت ، إلى وصف حياة الرأسماليين ، وبعضهم ، كتشارلز دكنز ، إلى درس أحوال العمال والناداة بتحسينها

هكذا تأثر كلا الأديين بالبيئة التي قام فيها ، فاختلغا لذلك مناحى ومواضع وأشكالاً ؛ بيد أن البيئة التي تقدم ذكرها إن هي إلا البيئة المحلية المحض ، وهي على عظيم تأثيرها في المجتمع والأدب قلما تنفرد بالتأثير فهما ، بل تشاركها في ذلك بيئة أوسع أطرافها هي البيئة العالمية ، أي العالم كله بما فيه من ظواهر

مزروعة مشمرة ، وأم مرتفعة مستقرة ، وبلدان عامرة متحضرة ، ذات علوم وصناعات ، فتأثر بهذه البيئة الجديدة في ثلاث النواحي سالفة الذكر : في مفردات اللغة وتعبيراتها التي ازدادت بالنقل والتعريب ، وفي المهن ومظاهر العمران ، وفي وصف مناظر الطبيعة الجديدة ، فكثرت في الأدب ذكر الرياض والأزهار

على أن تأثر الأدب في الناحيتين الأولى والثالثة كان قليلاً نسبياً لفنى اللغة في الاشتقاق الذي أغناها عن الامتلاف في التعريب ، ومحافظة العرب التي نفّسهم من استعمال ألفاظ اللغات الأخرى وأختيارها إلا ما جاء عفواً أو ضرورة ، وحرصهم على احتذاء أسلافهم حتى ظلوا يقلدوهم في وصف البيد والنبات والنوى والعيس ، وهم يعيشون بين الأرياف والعوام ، فقامت هذه التقليدات للمتقدمين في الأدب العربي كالتحجرات في عالم الجيولوجيا : قد فقدت كل حياة ولم تعد إلا رموزاً للماضي

ولم يشغف العرب شغفاً حاراً بمظاهر الطبيعة التي صادفوها في بيئتهم الجديدة ، وكأنّ نفّسهم القديمة من قعر الطبيعة لم تفارق نفوسهم ، وكأنّ كل ما كانوا يطمحون إليه بعد أن طووا الأميال ضرباً في فلولات الجزيرة وهواجرها ، ظلّ ظليل وماء سلسيل وهواء بليل ، تريح الجسوم وترويهما وترفه عنها بعد طول الكد ، فنصّ أديهم الطبيعي بذكر راحة الجسم ولذات الحواس ، دون طويل تأمل في محاسن الطبيعة واجتلاء أسرارها وتقصّر للذكريات والآمال عندها ، وأجمع الأمثلة لذلك قول الشاعرة الأندلسية :

وقانا لفحة الرضاء واد سقاء مضاعف النيث المميم
نزلنا دوحه فحنا علينا حنوّ المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالاً ألد من الدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا فيحجبها ، ويأذن للنسيم
إنما كان أشد تأثر الأدب العربي في بيئته الجديدة بالناحية الثانية ، ناحية العمران ، ناحية الحياة المستقرة في البلدان ، المعتمدة على الزراعة والصناعة ، الخاضعة للملكية ، وهي عكس حياتهم في البادية تماماً ، فانفمر الأدباء في جو المدن ، واعتزلوا الطبيعة وتكأوا على بيوت الأمراء ، وتزاحوا على مجالس الطرب والشراب ، واستفرغوا جهدهم في انتهاب فرص الحياة من جاه

طبيعية وما يسكنه من أقوام ، فهيات أن يمشى مجتمع في بيئته المحلية غير متأثر بالعالم الخارجي تأثراً قلاً أو أكثر ، عن طريق التجارة والغارة والرحلة ، وذلك الأثر العالمي يعرض أمام أفراد المجتمع من الظواهر والمشاكل ما كانوا عنه بنجوة ، ويُدخل في لغتهم وأديهم ما كانوا به جاهلين

تأثر الشعبان العربي والإنجليزي بأحوال العالم الخارجي ، أي بالبيئة الكبرى ، ولكنهما اختلفا في هذه البيئة كما اختلفا في البيئة المحلية ، إذ تأثر كل منهما بما يابه مباشرة من أجزاء تلك البيئة العالمية : وما يلي بلاد العرب هو الأمم الشرقية من فرس وهند وروم شرقيين ومصريين ، ذات الحضارة الشرقية المتينة والملكيات القديمة ؛ وما يلي الإنجليز هو الأمم الغربية الوارثة لحضارة الأغريق والرومان ذوى التاريخ الحافل بالنظم الحكومية والآراء الحرة في السياسة والاجتماع ، وبذلك ازدادت صبغتا الأدب تبايناً

تأثر العرب بحضارة الأمم التي كانوا يتقلون متاجرها . ولا سيما الفرس والروم ، وكانت لهم بهم ولاء علاقات سياسية ولأكابرم إلى ملوكهم سفرات ، وإلى اشتغال قریش بتلك التجارة ومخالطتها تلك الأمم يرجع ذلك الرق الأدبي والسادي الذي بلغت قبيل الاسلام ، وظهورها على القبائل في الثروة والجاه والشرف واللغة ، وإنجابها عظام الرجال الذين على أيديهم توطدت دولة الاسلام ، فكانت مكة قبيل الاسلام في حال من التمدن وسط بين همجية البداوة ونعومة الحضارة

ولو استمر تأثر العرب بالبيئة الخارجية طبيعياً محدوداً هكذا لازدادوا رقياً وازدادت لغتهم بهاء وأديهم ازدهاراً ؛ ولكن التوسع الخارجي الذي أعقب نجاح المسلمين الحربي المفاجئ أوقف ذلك التأثر البطيء ، وأحدث انقلاباً تاماً في مجرى الأمور ، فلم يمدّ تأثر الأدب العربي بالعالم الخارجي مقصوراً على النقل التدريجي ، بل انتقل الأدب ذاته جملة من وطنه الأصلي وهجر بيئته الأولى إلى بيئة أو بيئات جديدة في الشام والعراق ومصر والأندلس وغيرها ، والأدب العربي في انتقاله هذا ومهاجرته هذه من وطن إلى وطن نسيج وحده بين آداب الأمم وجد الأدب العربي نفسه في بيئة جديدة ، في أراض

خطر الفاشستية

على سلام العالم

ومسألة البحر الأبيض المتوسط

بقلم باحث دبلوماسى كبير

لم يبد خطر الفاشستية على سلام أوروبا وسلام العالم كما يبدو اليوم ؛ ولقد كان رأينا دائماً أن الفاشستية وما تقوم عليه من مبادئ العنف ، وما يحدوها من الأطماع المضطربة ، وما تؤكد به أعمالها وتصريحاتها من احتقار لباديء الحق والمعادلة الدولية ، إنما هي مصدر دائم للشر والخطر على السلام ، وبخاصة على الأمم الضعيفة التي تدين بوجودها واستقلالها لبدأ الحق الطبيعي لا للقوة الفاشستية ؛ بيد أن الفاشستية لم تبد من قبل مثل هذه الجرأة المكشوفة ، وهذا التحدى الواضح ، وهذا التوثب لارتكاب العدوان والشر ، وهذا الاستخفاف بمحقوق الشعوب ومصيرها كما تبدو اليوم

منذ أكثر من عام نظمت إيطاليا اعتداءها المثير على الحبشة ، واستطاعت لا بحرب شريفة مشروعة ، ولكن بوسائل همجية ممقوتة أن تقهر هذه الأمة المتكودة وأن تضمها لأملاكها ، وأن تقيم على أنقاض الحريات المقصوبة إمبراطورية استعمارية تصول بها اليوم ؛ وفي الصيف الماضى استطاعت الفاشستية الإيطالية وحليفها النازية الألمانية أن تضربا في أسبانيا نارة ثورة مضطربة ، وما زالتا إلى اليوم تمدان العسكرية الشائرة بالسلاح وكل صنوف الماونة ، وما زالت أسبانيا تتلظى في جحيم الحرب الأهلية ، لأن الفاشستية والنازية تود كل منهما أن تحقق لنفسها ظفراً ممنوباً يكون مظهره قيام حكومة طغيان فاشستية في أسبانيا على أنقاض الجمهورية ، وظفراً مادياً يقوم بتحقيق بعض المصالح السياسية والعسكرية التي تطمح كل منهما إلى تحقيقها وكما أن مسألة البحر الأبيض المتوسط كانت أثناء الاعتداء الإيطالى على الحبشة شار الخاطر والاحتكاك المستمر بين إيطاليا وبريطانيا العظمى ، فكذلك تثير الحرب الأهلية الأسبانية

ومال ورفاهية وهو ، وتأثر الأدب بذلك : فلم يمد يدها بالنجدة والبأس والقناعة ، بل طاب له الاستغلال بسلطان الحاكمين ، يترنم بمدحهم بمد أن كان أمثال عمرو بن كاثوم يتودون على نيرم ، وتفنن في وصف مظاهر التحضر وضروب الترف والهوى في المدن

أما الأدب الإنجليزي ، فتأثر بالبيئة العالمية في النواحي الثلاث — نواحي مبنى اللغة ومظاهر العمران ومناظر الطبيعة — تأثراً كبيراً : فاللغة الإنجليزية تدين للغات الأجنبية ولا سيما اللاتينية بأكثر مفرداتها وطرق اشتقاقها وكثير من تعابيرها وبجازاتها ؛ والمجتمع الإنجليزي تأثر بالمجتمع الإيطالى في عصر الأحياء ، وبالمجتمع الفرنسى في عصر لويس الرابع عشر ؛ ولم يخلُ في عصر من التأثر بحالة العمران في أوروبا ، إذ كانت الحضارة الأوروبية الحديثة مشتركة بين شتى الأمم ؛ وباطلاع الإنجليز على أوصاف الطبيعة في الآداب الكلاسيكية ازدادوا شغفاً بمفاتيح بلادهم ، وزادوا فوسفوا محاسن الطبيعة في إيطاليا وبلاد اليونان وغيرها

تأثر الأدب الإنجليزي بالبيئة العالمية في شتى النواحي ، ولكنه لاستقراره في وطنه الأول وبيئته المحلية جاء تأثره بالأولى بطيئاً محدوداً لم يطلع على خواصه المحلية ، بل ظلت للبيئة المحلية المكانة الأولى والآثار الواضحة في الأدب ، ولم يزد الأثر الخارجى على أن أضاف إلى العناصر المحلية ما يناسبها ويخصبها من العناصر الأجنبية ، وكلما احتجج الأدب جانباً من تلك العناصر مثلاً ومزجها بنفسه وسبغها بصبغته الخاصة

فالأديان العربى والإنجليزى قد نشأ في بيئتين طبيعيتين مختلفتين وترعرعا في مجتمعين متباينين ، وتأثرا بموامل عالمية مختلفة ، وهاجر أحدهما من بيئته الأولى إلى بيئة جديدة بينما ظل الآخر في وطنه الأول ، فلاغرو أن يختلف الأديان في الصبغة والناسخ والأوضاع والأغراض والأخيلة ، اختلافاً يروع الناظر فهما فيخيل إليه أن ليس هناك تشابه بينهما قط ، ولا وجه للموازنة والمقابلة ، وبكاد يخفى ما فيهما من تمييز مشترك عن شتى النوازع النفسية والظواهر الاجتماعية ، التي تنفق فيها الطباع الإنسانية ، في شتى المجتمعات ، ويختلف البيئات

فهرى أبو السعود

ألمانيا بالامبراطورية الإيطالية وسيادة إيطاليا على الحبشة ،
واتفاق الدولتين على اتخاذ خطة سياسية مشتركة في أواسط أوروبا
وشرقها ، وتحالفهما على مقاومة الخطر البلشفي الذي يزعج
ألمانيا المتخربة في كل لحظة ؛ واتفاقهما على احترام استقلال
النمسا إلى حين ؛ ولم يكن هذا الاتفاق بين الدولتين الفاشستيتين
مفاجأة في السياسة الدولية ؛ فمن العرف أن إيطاليا وألمانيا
تجمع بينهما روابط خاصة أهمها اتفاق الوسائل والخطط ، والاتحاد
في كثير من المطامع والغايات ، ولا سيما المطامع الاستعمارية ؛
وقد كانت ألمانيا أول الدول المؤيدة لإيطاليا يوم اعتدائها على
الحبشة ، لأنها يجيش يمثل الأمانى الامبراطورية التي يجيش بها
إيطاليا ؛ هذا فضلاً عن اتحاد الدولتين في مناوأة عصبة الأمم ،
وسياسة نزع السلاح ، وفي النزعة العسكرية ، والخطط
السياسية الصنيفة

والواقع أن المسألة الاستعمارية تلعب دوراً كبيراً في الأزمة
الدولية الحاضرة ، وفي أزمة البحر الأبيض بنوع خاص ؛ فقد
رأينا كيف بدأت هذه الأزمة وتفاقت من جراء اعتداء إيطاليا
على الحبشة ووقوف انكلترا في وجه السياسة الإيطالية ، وحشدتها
الدول بواسطة عصبة الأمم لتوقيع العقوبات الاقتصادية ضد
إيطاليا ؛ والآن وقد كمل اعتداء إيطاليا بالتجاح وفازت بامتلاك
الحبشة ، فإنها تتطلع إلى تحطيم المركز الممتاز الذي تستأثر به
انكلترا في البحر الأبيض المتوسط لكي تأمن على مواصلاتها مع
امبراطوريتها الأفريقية ؛ ومن الحق أن معاونة إيطاليا لاجتزال
فرانكو زعيم الثورة الأسبانية لها صلة كبيرة بهذا المشروع الذي
تحلم به إيطاليا ؛ ذلك لأن قيام حكومة عسكرية فاشستية في أسبانيا
مؤيدة للسياسة الإيطالية ، يهدد مراكز انكلترا في جبل طارق
وفي غرب البحر الأبيض المتوسط ، كما أنه يمزق مركز إيطاليا
ونفوذاها في هذه المياه خصوصاً إذا نبئت الأبناء القائلة بأن
القوات الإيطالية تحتل الآن جزيرة ميورقة كبرى جزر البليار .
وألمانيا تؤيد إيطاليا في هذا الموقف ، وتعاون توار أسبانيا أيضاً ،
لأنها ترى في قيام الفاشستية في أسبانيا تقوية للجهة الفاشستية
التي تمثلها مع إيطاليا وإضماراً لموقف الدول الديموقراطية : أعني
فرنسا وانكلترا في أوروبا ، كما أنها ترى في ظفر الفاشستية هزيمة

مسألة البحر الأبيض المتوسط مرة أخرى ، وتبهرها بصورة أدق
وأوسع نطاقاً وأشد خطراً ؛ وقد كانت الأزمة التي أنارتها الحرب
الحبشية في هذا البحر محلبة في نوع ما لأنها كانت تتعلق بشرقية
فقط ، وتتعلق بالنزاع بين إيطاليا وبريطانيا على السيادة في هذه
المياه ، ولكن الأزمة التي تثيرها أسبانيا اليوم أزمة عامة شاملة ،
تتعلق بالتوازن في البحر الأبيض المتوسط كله ، وتدخل فيها
فضلاً عن إيطاليا وبريطانيا العظمى ، فرنسا وألمانيا

وقد خطب السنيور موسوليني في ميلان أخيراً في سياسة
إيطاليا العامة نحو المشاكل الأوروبية المختلفة وكرر دعوى إيطاليا
القديمة على البحر الأبيض المتوسط ، ووصفه بأنه بحيرة رومانية ،
وأنه يجب أن يكون في الواقع كذلك لولا أن بريطانيا تدعى فيه
سيادة لا يحق أن تكون لها ، ووجه الدعوة في خطابه إلى بريطانيا
أن تتفاهم مع إيطاليا على قاعدة المساواة في الحقوق والمصالح ؛
لأن كون بريطانيا تتخذ من هذا البحر طريقاً لأملها فيها
وراء البحار ، لا يميز لها أن تدعى السيادة فيه والسيطرة على
مياهه ؛ وقرن السنيور موسوليني خطابه السياسي كالعادة ببعض
التلميحات والتهديدات المرحية ، فأشار إلى عصبة الأمم بأنها
حلم سخيف ، وسخر من مشروع نزع السلاح ونظرية السلامة
الاجماعية ، وما إليها من مثل لتأييد السلام ؛ ولكن الحكومة
البريطانية لم تلبث أن أجابت «الدوتشي» على مزاعمه ودعاويه ؛
فذكرت أولاً في خطاب المرش الذي افتتح به البرلمان
البريطاني ، أن سياستها الدولية تقوم على تأييد عصبة الأمم
وتدعيمها وإصلاحها لتمكين من تأدية مهمتها ، وأنها ما زالت
تؤمن بالسلامة الاجماعية كوسيلة لتأييد السلام والتفاهم بين
الأمم ؛ وأما فيما يتعلق بالبحر الأبيض المتوسط ، فقد ذكرت
الحكومة البريطانية على لسان وزير خارجيتها المستر آيدن في
مجلس العموم ، أن بريطانيا العظمى تعتبر هذا البحر شرياناً من
شرايين الامبراطورية ، وطريقاً حيويًا لتجارها تدافع عنه بكل
ما وسعت

ألقى السنيور موسوليني خطابه الزمان غداة الاتفاق الذي
عقد أخيراً بين إيطاليا وألمانيا ، وكان من أهم نتائجه اعتراف

هائلة في المواد الأولية ، تتمتع بمستوى مرتفع من الرخاء الاقتصادي ، ولها صناعات مزدهرة ، وتجارة خارجية عظيمة ، وهي تفرص على ذلك كله ، وتجنب الحرب ما استطاعت ، لأن الحرب نذير الخراب والبؤس الاقتصادي ؛ وهذا مثل انكلترا وفرنسا وبلجيكا ؛ فهي دول « راضية » لا تود بحالتها بديلا ، أما الدول الفاشستية ، أو بمباراة أخرى إيطاليا وألمانيا ، فهما من الدول « غير الراضية » لأنهما تعانيان حالة من البؤس الاقتصادي ولا تحتكجان على مقادير كافية من المواد الأولية ، ولا تتمتعان بمقدار مرض من الرخاء ، فهما لذلك ساخطتان ، محقدتان على الدول « الراضية » ، وتودان تغيير هذه الحال والاستيلاء على بعض المستعمرات الغنية التي تكفل لها الحصول على المواد الأولية ؛ وإذا كانت الفاشستية تقوم في الداخل على العنف ، فهي لا ترى أيضاً سوى العنف وسيلة لسياستها الخارجية ، وهي تندفع بلا تدبر للمواقب ، لأنها تعرف جيداً أن الدول « الراضية » أشد ما يكون زهداً في مقابلة العنف بالعنف ، وأنها تعمل جهدها لاتقاء خطر الحرب ؛ وقد نجحت الفاشستية في استغلال هذه الحالة ، وحققت لنفسها بالعنف أواناً من الظفر ، في ميدان السياسة والحرب ، كغزو الحبشة ؛ ولا تزال تسرف في الوعيد كلما لاح لها أمل في التحويل والاستقلال

على أن الذي لا ريب فيه هو أن ألمانيا وإيطاليا هما بلقنا اليوم من القوة لا تستطيعان الاضطلاع بحرب أوروبية كبيرة ، فكلاهما تفتقر الى المال والمواد الأولية ، وإن كانت غنية بالرجال والأساليب الفنية ؛ والحرب المعاصرة تقوم على المال والمادة كما تقوم على الفن والسواعد ؛ ومن ثم كان تلهف ألمانيا على استرداد مستعمراتها وهي أمنية تبدو مستحيلة التحقيق على الأقل في الوقت الحاضر ؛ ثم إن تيار الحوادث لا يستقر على حال ، فهما هي ذى الحرب الإسبانية تتطور في مصلحة الجمهوريين ، والثورة تدنو إلى الفشل ؛ وسيكون فشل الثورة الإسبانية ضربة أليمة ولكن عادلة للفاشستية التي أمارتها ؛ والأحوال السياسية تتطور في أوروبا الوسطى تطوراً سريعاً ، ودول الاتفاق الصغير تنظر بصد خبطة الدوتشي في ميلان وما ورد فيها من إشارة إلى تعديل المعاهدات ، إلى السياسة الإيطالية وغاياتها بمنتهى الريب ، بل إن الاتفاق الذي عقد أخيراً

لعدوتها روسيا السوفيتية التي تعاون الجبهة الجمهورية في أسبانيا وربما كانت ألمانيا إلى جانب ذلك ترى في التدخل في شؤون أسبانيا وغرب البحر الأبيض وسيلة لإثارة المسألة الاستعمارية التي تعلق عليها أهمية كبيرة

وقد امتازت خطط الدولتين الفاشستيتين في العام المنصرم بالاندفاع والتحدى ؛ وما زال السنيور موسوليني بالأخص يبرق ويتوعد في كل خطبه وتصريحاته ، وينوه بقوة جيوشه واستعداداته وينذر أوروبا بالويل إذا لم تنزل عند أطباعه ومطالبه ؛ وما زالت انكلترا وهي التي يخصصها « الدوتشي » بأكبر قسط من الوعيد والتحدى تقابل الموقف بالرزاة والانعفاء ، ماضية في تقوية تحليقاتها في نفس الوقت بكل ما وسعت ؛ كذلك ترى ألمانيا هتلرية تنحو في خططها السياسية هذا النحو فتنتقض المواثيق والعهود متى شاءت ، وتلوح في كل فرصة باستعداداتها العسكرية ؛ وفرنسا التي هي محور هذه الضربات تتلقاها في هدوء وتحاول مع حليفها القديمة انكلترا أن تذلل الصعاب والأزمات بالأساليب السياسية ، وهي ماضية أيضاً في مضاعفة استعداداتها العسكرية العظيمة

ومن المحقق أن الدول الغربية وعلى رأسها فرنسا وانكلترا ترغب في السلام كل الرغبة ، وتعمل على انقضاء خطر الحرب بكل ما وسعت ؛ كذلك لا ريب في أن الفاشستية لا تبدي مثل هذا الحرص في المحافظة على السلام واجتناب أخطار الحرب ؛ ولقد اندفعت إيطاليا وألمانيا خلال هذا العام إلى إثارة عدة أزمات دولية كانت كل منها تكني لإضرام نار الحرب ، فنقض ألمانيا لميثاق لوكارنو ومهادنة الصلح ، وغزت إيطاليا الحبشة وحملاتها المشيئة على انكلترا ، وعلى عصبة الأمم ، وعمامها ممأ على إضرام نار الحرب الأهلية في أسبانيا ، كل هذه كانت وما تزال تثير كدراً في أفق السلام ، وقد كادت في أكثر من فرصة أن تغدو خطراً حقيقياً على السلام

وهذه النزعة الخطرة التي تندفع الفاشستية فيها دون تدبر للمواقب ترجع إلى حالة نفسية تستلها الفاشستية ؛ فالدول الغربية التي خرجت من الحرب بأكبر قسط من النسيمة ، والتي تبسط سلطانها على امبراطوريات استعمارية شاسعة ، وتستأثر بوفرة

وفي مقدور العامة والدهاء أن يدعوا التنبؤ بالغيب عن هذا الطريق ، وهذا ما لا يسلم به أحد . وهنا يفارق الفارابي أستاذه ويقرر أن الانسان يستطيع بواسطة تخيلته الاتصال بالعالم العلوي واختراق حجب الغيب والوقوف على المكنون والحق . ولكن يجدر بنا أن نعقب على هذا مسرعين بأن الفارابي وإن خالف أرسطو فأما يخالفه في نقطة محددة ؛ ذلك لأن الاتصال بالعقل الفعّال عن طريق الخيلة لا يتم في رأيه إلا لطائفة ممتازة وجمع مختار ، وإذا كان الفارابي قد وفق لحل موضوع المقامات والرؤى فلم يبق أمامه إلا خطوة واحدة لحل مشكلة النبوة . فان الخيلة متى تحررت من أعمال اليقظة المختلفة استطاعت أثناء النوم أن تصعد إلى سماء النور والمرآة . وإذن متى توفر لدى شخص خيلة ممتازة تمت له نبوءات في النهار مثل نبوءات الليل ، وأمكنه في حال اليقظة أن يتصل بالعقل الفعّال مثل اتصاله به أثناء النوم ، بل ربما كان ذلك على شكل أوضح بصورة أكمل . فالنبي في رأى الفارابي بشر منح خيلة عظيمة تمكنه من الوقوف على الالهامات السماوية في مختلف الظروف والأوقات

هذه هي نظرية النبوة في حقيقتها العلمية والفلسفية ، وظروفها وأسبابها الاجتماعية ، ومصادرها وأصولها التاريخية ، ونعتقد أنها الجزء الطريف والبتكر في فلسفة الفارابي . حقا إنها تعتمد على أساس من علم النفس الأرسطي ، إلا أنها في مظهرها الكامل أثر من آثار تصوف الفارابي ومعتقداته الدينية . فان الاتصال بالعقل الفعّال سواء أكان بواسطة التأمل والنظر أم بواسطة التمثيل هو قمة الصوفية الفارابية . ومن جهة أخرى يجب أن نلاحظ أن الفارابي متمش هنا مع مبدئه في التوفيق بين الفلسفة والدين ومتأثر بتعاليم الاسلام تأثره بأفكار أرسطو . فان العقل الفعّال الذي هو مصدر الشرائع والالهامات السماوية في رأيه أشبه ما يكون بالملك الموكل بالوحى الذي جاءت به نظرية الاسلام : كل منهما واسطة بين المبدور به وصلة بين الله وبنبيه ، والمشرع الأول والملمح والموحي الحقيقي هو الله وحده . وبهذا استطاع الفارابي أن يمنح الوحى والالهام دعامة فلسفية ، ويثبت لشكريهما أنهما يتفقان مع مبادئ العقل ويكونان شخصية من شجب علم النفس

نظرية النبوة عند الفارابي

للدكتور ابراهيم بيومي مذكور

مدرس الفلسفة بكلية الآداب

- ٥ -

اعتنق الفارابي ، بعد الكندي ، نظرية أرسطو في الأحلام وقال معه إنها أثر من آثار الخيلة وتنتيجة من نتائجها . ولا بد أن يكون القارىء قد لاحظ في التفاصيل والجزئيات تشابها واتصالاً أكثر من هذا بين رأى الفيلسوف العربى والفيلسوف اليونانى ؛ فان الفارابي يستند بالبول والمواطف ويثبت مالها من أثر في تكوين الأحلام وتشكيلها . ويرى كذلك أن لطبايع والأمزجة دخلاً كبيراً فيها . وكل تلك أفكار ردها أرسطو من قبل

يبد أن مؤسس الليسيه يجهد نفسه دائماً في أن يبعد عن مذهبه التفسيرات الدينية والتلميحات القائمة على قوى خفية وأسرار غامضة . وزهته الواقعية تقلب عليه في دراساته النفسية كما استولت عليه في أبحاثه الطبيعية والاخلاقية . لهذا تراه يرفض أن تكون الرؤى وحيكاً من عند الله ، ولا يقبل مطلقاً التنبؤ بواسطة النوم . لأن الأحلام ليست مقصورة على طائفة دون أخرى ،

بين ألمانيا وإيطاليا يبدو ضيقاً مزعزع الأسس أمام التطورات الأخيرة في أوروبا الوسطى ؛ وهامى ذى إيطاليا رغم مباحها ووعيدها تؤثر أن تمد يدها إلى إنكلترا التي تمضى في تسليحاتها البحرية والجوية بخطى الجبارة

والخلاصة أن الفاشستية هي منبع الخطر على سلام أوروبا ، ففي إيطاليا وألمانيا تضطرم النار الخفية التي قد تثير ضرام الحرب في أية أزمة من الأزمات التي مازالت الفاشستية تعمل على إثارتها بلا تدبر للمواقب ؛ فإذا لم تنجح أوروبا في كبح هذه النزعة الخطرة ، فالويل للسلام الأوروبى والحضارة الأوربية ؛ بيد أن كل ما هنالك يدل على أن أوروبا حريصة على سلامها وتراتها ، وأنها لن تنحى أمام وعيد هتلر وموسوليني

غير أنه قد يمرض عليه بأنه يضع النبي في منزلة دون منزلة الفيلسوف . فإن وصول الأول عن طريق الخيلة في حين أن الثاني يدرك الحقائق الثابتة بواسطة العقل والتأمل ، وليس هناك شك في أن المنحصرات العقلية أفضل وأسمى من المعلومات التخيلية ؛ ولكن الفارابي فيما يظهر لا يأبه بهذه التفرقة ولا يعبرها أية أهمية ؛ وسواء لديه أن تكون المعلومات مكتسبة بواسطة الفكر أم بواسطة الخيلة ، مادام العقل الفعال مصدرها جميعاً ، فقيمة الحقيقة لا ترتبط بالطريق الذي وصات إلينا منه ، بل بالأصل الذي أخذت عنه ؛ والنبي والفيلسوف يرتشان من مدين واحد ويستمدان علمهما من مصدر رفيع ؛ والحقيقة النبوية والحقيقة الفلسفية هما على السواء نتيجة من نتائج الوحي وأثر من آثار الفيض الآسمي على الانسان عن طريق التمثيل أو التأمل .

على أن الفارابي يمد أن فرق في كتابه : آراء أهل المدينة القاضلة بين النبي والفيلسوف من ناحية الوسائل التي يصلان بها إلى المعرفة عاد فقرر في مكان آخر أن الأول ، مثل الثاني ، يمكنه أن يبرج إلى مستوى الكائنات العلوية بواسطة العقل . فان فيه قوة فكرية مقدسة تمكنه من الصعود إلى عالم النور حيث يتقبل الأوامر الألهية فلا يصل النبي إلى الوحي عن طريق الخيلة فحسب ، بل بما فيه من قوى عقلية عظيمة . يقول الفارابي : « النبوة مختصة في روحها بقوة قدسية تدعن لها غيرزة عالم الخلق الأكبر كما تدعن لروحك غيرزة عالم الخلق الأصغر فتأتي بمعجزات خارجة عن الجيلة والعادات ؛ ولا تصدأ صراحتها ولا يمنعهام شيء عن انتدش ما في اللوح المحفوظ من الكتاب الذي لا يبطل ، وذوات الملائكة التي هي الرسل ، فستبلغ مما عند الله إلى عامة الخلق » (١) .

وإذا كان في مقدور النبي أن يتصل بالعقل الفعال بواسطة النظر والتأمل فإن النبوة تصبح ضرباً من المعرفة يستطيع الناس على السواء الوصول اليه . فتأثير العقل الفعال نبحت وتفكر وتدرك الحقائق السامة ، ويتفاوت أثره فينا تختلف درجاتنا ويفضل بعضنا بعضاً ، وإذا ما عظم اشراقه على واحد منا سما بنا إلى مرتبة الإلهام والنبوة . وعمل هذا هو الذي دفع علماء الكلام

إلى أن يأخذوا على الفارابي ومن جاء بعده من فلاسفة الاسلام ميلهم إلى عد النبوة أمراً مكتسباً . مع أن أهل الحق ، فيما يصرح الشهرستاني ، يقولون « إن النبوة ليست صفة راجعة إلى النبي ، ولا درجة يبلغ اليها أحد بعلمه وكسبه ، ولا استعداد نفسه ، يستحق به اتصالاً بالروحانيات ، بل رحمة يمن الله بها على من يشاء من عباده » (١) . ونحن لا نشكر أن موازنة الفارابي بين النبي والفيلسوف تدع باب النبوة مفتوحاً للجميع ، كما أن الفلاسفة ليست مقصورة على طائفة دون أخرى . إلا أنه يخيل لنا أن الفلسفة في رأي الفارابي ليست سهلة المنال بالدرجة التي تبدو لأول وهلة ، فلكل أن يتفلسف ، ولئن يحظى بالفلسفة الحق إلا أفراد قليلون ؛ وفوق هذا فالفارابي يقرر أن النبي ينعم بخيلة ممتازة أو قوى قدسية خاصة ، ويلب على ظننا أن هذه القوة القدسية وتلك الخيلة فطريتان في رأيه لا مكتسبتان وإن كان هو نفسه لم يصرح بذلك . ونحن نعلم جميعاً بأن في نفس النبي ومزاجه كلاً فطرياً استحق به النبوة ، وسما يهبه إلى الاتصال بالملائكة وقبول الوحي . والأنبياء هم صفوة الناس وخيرة الله في خلقه : « الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس » يقول الشهرستاني : « فكما يصطفهم من الخلق تولاك بالرسالة والنبوة يصطفهم من الخلق فعلاً بكال الفطرة ونقاء الجوهر ، وصفاء المنصر ، وطيب الأخلاق وكرم الأعراف . فيرفهم مرتبة مرتبة ، حتى إذا بلغ أشده ، وبلغ أربعين سنة . وكلت قوته النفسانية وتهايات لقبول الأسرار الآسمية يث اليهم ملكاً وأزل عليهم كتاباً » (٢)

وأخيراً إذا كان الفارابي قد استطاع التخلص من الاعتراضين السابقين فهناك اعتراض ثالث تميز الاجابة عليه ، وهو أن تفسير الوحي والإلهام على النحو السيكلوجي السابق يتعارض مع كثير من النصوص الثابتة . فقد ورد أن جبريل عليه السلام كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم في صورة بعض الأعراف أو أنه كانت تسمع له صلصلة كصلصلة الجرس ، إلى غير ذلك من

(١) الشهرستاني ، نهاية الأندام ، ص ٤٦٣

(٢) المصدر نفسه ؛ ص ٤٦٣

(١) الفارابي ، الثرة الرضية ، ص ٧٢

شملت المسلمين منذ القرن الأول للهجرة . وفي رأى الفارابي أن النبي والامام والملك والحاكم والفيلسوف الذى نادى به أفلاطون للجمهوريته يجب أن يقوموا بمهمة سياسية واحدة^(١) . فهم واضعو النواميس والشرفون على النظم الاجتماعية مسترشدين في كل هذا بالأوامر الآتية . وميزتهم المشتركة أنهم يستطيعون الاتصال بالعالم الروحاني في حال اليقظة وأثناء النوم بواسطة الخيالة أو العكورة^(٢) . وفي هذا التفسير ما فيه من انتصار للاسماعيلية والشيعة بوجه عام سترى أثره فيما بعد

(يتبع)

ابراهيم مدكور

(١) الفارابي : تحصيل السعادة ؛ ص ٤١ — ٤٤

(٢) الفارابي : السياسات المدنية ؛ ص ٤٤ — ٥٠

انتظروا في أول يناير :

الرواية

وهي مجرد أسبرجة للنقص والتاريخ

تصدرها ادارة (الرسالة)

وستتمتع في الغالب على قتل ماراع وخذ من بدائع الأدب الغربي في القصص على أوسع معانيه من الأفاصيخ والروايات والرحلات والمذكرات والاعترافات والنوادر . وسيكون دستورها : الجمال في الأسلوب ، والحسن في الاختيار ، والنبل في الفرض ؛ فترضى الذوق كما ترضى (الرسالة) العقل ، وترفع القصة كما ترفع (الرسالة) المقالة ، وتسجل أدب الغرب كما تسجل (الرسالة) أدب العرب بدل اشتراكها في السنة مؤقتاً ثلاثون قرشاً في الداخل ، وخمسون قرشاً في الخارج . وكل من يردد اشتراك (الرسالة) كاملاً قبل انتهاء شهر يناير ترسل إليه (الرواية) مجاناً

آثار متصلة بالوحى وطرائفه . ولا نظن أن هذه الآثار غابت عن الفارابي ، إلا أنه ، فيما نعتقد ، شغل بمسألة أخرى ، وعنى بأن يثبت أولاً وبالذات أن الوحى أمر ممكن ولا يخرج على المبادئ العلمية المقررة ، وبذا أصبح اتصال الروحاني بالجسماني الذى كان يستبعده الصابئة وغيرهم مقبولاً ، وينبنى أن نلاحظ أن جل جهد الفارابي في نظرية النبوة لم يكن موجهاً نحو أهل السنة الذين يؤمنون بكل ما جاء في القرآن والحديث متصلاً بالوحى وكيفياته ، وإنما كان مصوباً الى تلك الطائفة التى أنكرت النبوة من أساسها ، وهذه الطائفة لم تحارب الاسلام فحسب ، بل حاربت الأديان على اختلافها . فلم ير الفارابي بداً من أن يتنصر لمبدأ النبوة من حيث هو وأن يوضح بمزمل عن أية بيئة أو وسط خاص ، وليس بعزيز عليه بعد هذا أن يتأول ماورد من نصوص دينية تخالف آراءه أو تبعد عنها ، وقد سلك سبيل التأويل غير مرة ، فلم بوجود اللوح ولقلم مثلاً ، ولكنه فسرها تفسيراً يتفق مع نظرياته الفلكية والبيتاغوريقية^(١) ، ونحن لا ننكر أن الاسترسال في التأويل قد يثير كثيراً من معالم الدين ، إلا أنه وسيلة لازمة لمن يحاولون التوفيق بين العقل والنقل . والحقيقة أن الفارابي وقف هنا ، شأنه في نظرياته الأخرى ، موقفاً وسطاً ، فأثبت النبوة اثباتاً عقلياً علمياً غاصاً الطرف من بعض النصوص والآثار المتصلة بها . وكأنه في الوقت الذى منحها فيه أساحة جديدة جزدها من بعض ما كانت تتمتع عليه من أحاديث وأسانيد . والموفق مضطر دائماً لأن يستخلص من الرأيين المتقابلين مذهباً جديداً يمت إلى كل واحد منهما بصلة

ومما يمكن من شيء فلم يصنع الفارابي إلا أنه أظهر في جلاء منزلة النبي السياسية والاجتماعية لكفى . وقد استطاع بهذا أن يرد على أباطيل ابن الراوندى واعتراضات الرازى . وعلى منونه سلف فلاسفة الاسلام الآخرون وفسروا كثيراً من التعاليم الدينية بهذه الروح وتلك النزعة . وبوضع النبوة هذا الموضع الانسانى الاجتماعى يمكن أن تحل مشكلة الرياسة الدينية والسياسية التى

شخصية ناضرة يهملها النقد العربي

نقد ابن أبي عتيق

للأستاذ خليل هنداوى

ما زدت خوفاً في آثار الأقدمين إلا زدت إعجاباً بها وبهذا الجدل الذي ولدها ؛ وإنك لتقلب في كتبهم فيبهرك هذا اللون في المسادة وهذا النغز ، وهب أنك خرجت منزجاً لاضطراب في الاتساق واختلاف في الاتفاق ، فان هذا لم يكن ليذهب بيبض عجبك من هذا الجدل وهذا الدأب اللذين يدلانك على عقلية حاوات أن تتأمل وتمثل !

في كتب الأقدمين ذلك الاضطراب الذي كان لا يحسه أصحابه . لأنهم لم يملوا أعمالهم على حساب الأجيال الآتية ، ولو فعلوا لموتوا على مؤرخينا كثيراً من عناء الافتراض وقياس ما لا يقاس ، ولكن أصحابنا - عفا الله عنهم - لم يريدوا أن يعطونا الثمرة فأنجحة بل أرادوا أن نعمل على انضاجها وصونها . وفي كتبهم ثمرات كثيرة تنادى الأيدي وهي دائية القطوف ؛ وأذكر أني ما جلست يوماً إلى كتاب من هذه الكتب إلا خرجت بمحدث ممتع أو فائدة جميلة تدفعني نفسي إلى التقاطها وأنى لي أن أقسم أعضاء جسدي أقلاماً تطرأ

جلست في هذا الصيف إلى أغاني أبي الفرج التي كلما ضربتها الأدباء تفجرت منها عيون جديدة . ووقفت على اسم « ابن أبي عتيق » الذي عاش في الحجاز في العصر الأموي ورافق تطور المدرسة الفزلية أتأمل تكرر اسمه في كثير من الواصف مع كثير من الشعراء ، طوراً يبدو لي كناقذ وطوراً كسامر ، فحشرت مواقف في هذه المواضع على التقريب ، فإذا بي أراي أمام شخصية عنيدة في النقد هي - إذا صح ظني - أول شخصية في الأدب العربي « اليقيني » عالجت الأدب وحملت على نقده غير مستلهمة إلا ذوقها ... ولكن أبا الفرج عفا الله عنه ترك هذه الشخصية مجهولة لأنها - في زعمه - لم تتبكر ولم تنتج شعراً ولا لحناً ، ولكن هذه الشخصية تتردد كثيراً على الأفواه . وتنشئ كثيراً بجامع اللهو والأدب ، وتصبغ كثيراً

هذه الجامع بألوانها الخاصة . وبما يجعل هذه الشخصية بارزة تردها الكثير إلى هذه الجامع المختلفة ، وتردد أصحابها اليها معتبرين رأيها في النقد والأدب . ولا أعلم - بحسب روايات الأغاني - نقداً تحليلياً عميقاً كهذا النقد . ولقد أردت أن أوضح هذه الشخصية وأستوضح عنها في بطون الكتب والأخبار ، وليس عندي ما يسمفني على ذلك ؛ ولو كان ذلك سهلاً لما سهل على عقلي الذي لم أعود إرغامه على الدخول في هذه المنرجات الطويلة التي تحتاج إلى تأمل طويل وأناة في الامعان . ولكن ذلك غير ماني من أن أغامر في رسم ناحية من نواحي شخصية هذا الرجل المجيب المنتج في النقد ، وأظنها الناحية الأكثر بروزاً في الرجل

والآن من هو ابن عتيق ؟

يبدو لنا ابن أبي عتيق رجلاً يخالط المغنين والشعراء ولا بد أنه كان يتذوقهم ، وأنه كان صاحب ثقافة واسعة في الشعر والفناء تخول له الحكم فيهما ، وإنه كان بمد هذا كله صاحب ذوق خاص يفهم الشعر والفناء به . ومذ كان كما يبدو يقصده اللحنون والشعراء أنفسهم محتكون اليه في لحن أوييت أو ملحن أو شاعر فلا يتباطأ في حكمه ، ولا يفيل له رأى في ذلك . حديد اللسان والجنان والبيان ؛ ولولا هذه الثقافة وهذه الشهرة لما كان له مقام في ذلك . ولقد كان عمر بن أبي ربيعة أحسن القريين اليه ، وكان له معه عشرة حسنة ومجالس طيبة ، وكان له مع شعراء الحب والغزل أمور كثيرة ، ولا بد أن حادثة من حوادث غرامه جعلته يحدب على المحبين ، ويمثل دور الرسول بينهم وبين أحببتهم ويمتاز بقده بأنه كان نقد روح ومعان لا نقد قشور ومبان ؛

ويعود سر ذلك إلى أن اللغة العربية كانت لا تزال بعيدة عن الفساد ، وأن لسان العرب كان لا يزال لساناً فصيحاً ، وكان نقده أقرب إلى أحاديث النوادي ، لأنه نقد بيت أو فكرة ، ولأنه نقد يلم بجانب واحد من المعنى ويهمل بقية الجوانب . ونقده ليس فيه صرامة ولا خشونة ولا صلف ، وإنما هو نقد تهيمن عليه رقة حجازية ومجون برىء يابى إلا أن يظهر . ومن وراء ذلك تهكم بعيد وبصيب الفصل ؛ ولهذا التهكم جعل الشعراء يتقربون اليه ويطمعون في اكتساب مرضاته . وهو يذهب تارة في نقده يكشف عن المعنى غطاء تقبلاً ، وطوراً

حاضرة . فانظر ما كان أبعد هذه الروح في كشف المستور ، وما أخف روحها في التعبير عنه

واقعد بثب في تهكمه من الأدب إلى السياسة وبضربهما ويصيهما بحجر واحد ويكون تهكمه في هذا الموقف الدقيق بليغاً ما بعده أبلغ ! سمع عمر ينشده قوله

فأنتها طبة عالة تحايط الجد صراراً باللب
إن كفى لك رهناً بالرضا فاقبلي يا هند ! قالت : قد وجب

فقال له عتيق : إن الناس يطلبون خليفة مذقت عثمان في صفة قوادتك هذه بدير أمورهم فما يجدونه . فإذا استطيع الحال

أن يزيد على هذا التهكم ؟ ويسمع عمر ينشده قوله

حبذا أنت يا بغوم وأسما ، وعيص يكننا وخلاء
فقال له : ما أبقيت شيئاً يُتمنى يا أبا الخطاب إلا صرجاً لا يدخن
لكم فيه الماء للفصل . ولا أدري كيف يوفق بين محرم وطاعة
إلا التهكم وحده ؟

ويسمع عمر ينشده قوله :

ليت ذا الدهر كان حتماً علينا كل يومين حجة واعتباراً

فأجابه عتيق : الله أرحم بعباده أن يجعل عليهم ما سألته ليم

لك فسقك ! وهكذا تجد أنه يتصدى لعمر لا لأنه يضمر لعمر

مقماً أو كرهاً ، ولقد كان لعمر في نفسه منزلة لم ينزلها غيره من شعراء عصره . وهو الذي تنبأ بنصف بيت كان في خاطر عمر

قال عمر : لا تلهها وأنت زينتها لي

فأجاب عتيق : أنت مثل الشيطان للانسان

فقال عمر : هو والله !

فقال عتيق : إن شيطانك ورب القبر ربما ألم بي فيجد

عندي من عصيانه خلاف ما يجده عندك من طاعة ، فيصيب مني

وأصيب منه

ولعمر كما ذكرت في نفسه منزلة خاصة إذ يرى فيه النسل

الأعلى للشعر ، إليه يسمو الشعراء ، وبشعره يقتدى الشعر .

ولقد كان يعرف شعراء عصره منزلة عمر عند ابن أبي عتيق .

فكان يأتيه من يحاول مناقضته أو مجادلته فيه ، وكان الشاعر

يأتي بأبيات يتحدى شعر عمر ، ولا أعلم شاعراً اتنى سألماً

من نقد ابن أبي عتيق ، ولا أعلم واحداً استطاع أن يجرح له

حكماً أو نقداً

فليل هنر لوري

(وير الزور) البقية في العدد القادم

يستجلى المعنى البعيد في البيت ويكشف عن قصده ، وتارة يفسد على الشاعر ما ذهب إليه ولم يظن له ! ومثل هذا النقد أقرب إلى

الروح الأدبية في ذلك العصر وهو — بعد هذا — بعيد عن مثل ذلك الاختلاق الذي وضع على لسان الخنساء

يوم تقدمت حسان بن ثابت وأضعفت بنقدها اللغوي مواضع نغره ! لأن الروببات الأدبية الأولى في الأمم لا تنو إلى مثل هذه

الفروق اللغوية الدقيقة التي لا تنشأ إلا عند رجال انصرفوا إلى اللغة وتدقيقها والتفريق بين فروقها ، ولو أن هذه الروببات

تلذت إلى هذه الفروق لتلت كثيراً من روح نشاطها وأخذت كثيراً من نار إبداعها . ويمتاز ابن أبي عتيق بثقافته الثنائية ،

ومثل هذه الثقافة ترقق الذهن وتلطف الحواس وتجعل للبيت المنظوم قدراً خاصاً . وقد كانت هذه الثقافة الثنائية عنده سليقة

طبيعية . ولقد صر ذات يوم بمعبود وهو يعني — وكان طفلاً — فقال : « إن عاش مصيد كان معنى بلاده » وعاش حتى رأى صدق

نبوته . ويمتاز بهذه الروح الخفيفة التي لا يستغنى النقد ولا الناقد عنها . وبذل على ذلك مواقف كثيرة

منها أن عمر بن أبي ربيعة شب بزيب بنت موسى

الجمحية بقصيدته :

يا خليلي من ملام دعاني وأما الغداة بالأظمان

وكان سبب ذكره لها أن ابن أبي عتيق ذكرها عنده ووصف

من عقلها وأدبها وجمالها ما شغل قلب عمر . فبلغ ذلك ابن أبي

عتيق فلامه فيها وقال له : أنتنق الشعر في ابنة عمي ؟ فقال عمر

لا تلمني ، عتيق ! حسبي الذي بي إن بي يا عتيق ما قد كفاني

لا تلمني ، وأنت زينتها لي أنت مثل الشيطان للانسان

فقال أبو وداعة السلمي منكرأ على عمر التشبب بها « لا أقر

لابن أبي ربيعة أن يذكر امرأة من بني هصيص في شعره » فأجاب

ابن أبي عتيق « لا تلموا أبا وداعة أن . . . من سمرقند على أهل

عدن » ومن خفة روحه أن سمع عمر ينشد قصيدته

ومن لسقيم يكتم الناس ما به لزيب نجوى صدره والوساوس

ولست بناس ليلة الدار مجلساً لزيب حتى يعلو الرأس رامس

خلاء بليت قراؤه وتكشفت دجنته ، وغاب من هو حارس

وما نلت منها محرماً غير أننا كلاًنا من الثوب الموردا لابس

قال عتيق : أمنا يسخر ابن أبي ربيعة ، فأى محرم بقى ؟ فاعتذر عمر ، فقال له عتيق : يا عاهر ! هذا البيت يحتاج إلى

في الحياة

للأستاذ السيد محمد زيادة

فيخيل إلى أنه كان وقت ذبحه يقول : الآن قد آمنتُ بأنني ما خلقت إلا ليا كائني من كان بطعمني . . .
ثم أغيب عن الوجود غيبة ، وأظل أفكر ويشغل بالي التفكير . وقد يستنفد هذا من وقتي ومن ذهني ما أنا في حاجة إليه لشؤوني

وأطلق مع صديق لي إلى ناحية المروج في نزهة خلوية فتقابلنا على الأرض نملة تسمى ، فيدوسها الصديق بقدمه عامداً إلى قتلها ؛ ولكنه يتركها تتلوي فلا هي بالحياة ولا هي باليئة ، فيشجر بيني وبينه شقاق في الرأي حول فعلته . . . أريد أن أثبت له أنه غطى وأن الله لم يجعله على الأرض مييداً للحشرات ، ويريد هو أن يثبت لي أنه مصيب وأن الله لم يجعلني على الأرض مرشداً للناس . وبطول الخلاف بيني وبينه ، فلا هو مقتنع بأن عمله هذا توة ولا هو مقنى بأن عمله هذا رقة ؛ فأضطر إلى الشكوت على مريض وأمضى مشفقاً على النملة المتوجمة ، متألماً لظلتان القوة على الضعف ، متعجباً لاعوجاج معنى الحياة ، حاملاً من إشفاق وتأملي وتعجبي ثورة على صديق . . . لقد دبستُ النملة ونحطمتُ وبقيتُ تعذب حتى تموت فإذا جرى منها حتى نستحل ما جرى عليها ؟ . . . وأين الرحمة ؟ أين الرحمة ؟
وأظل أنفيظ ويملاً الغيظ نفسي ، وقد يذهب هذا من سروري ما أنا في حاجة إليه لنفسي

وبصادفتي في الطريق رجل كبير مسكين يتفرق الدمع في عينيه ويكاد يطر ، وتجول الحسرة الصامتة في جبينه وتكاد تنكلم ؛ فلتقي عيناي بعينه في موضع الفاقة من هيكله ، ثم يلتقي شعوري بشموره في موضع الألم من نفسه . . . وأراه يتلفت عن يمينه وعن شماله متفرساً في وجوه المارين به من الزوارق اللاهية بالصخرة الحزينة ، فأذهب أتصور نفسي بانساً يؤسه حائر أحيته واقفاً ، وأمكث أتحمري في مسارح شعوري ما كنت أقوله لنفسي وما كانت نفسي تقوله لي . . . حتى أسمع في وجداني هذا الحديث : كنت أقول لنفسي : أنا جائع فهل من هؤلاء الناس السمداء من يعرف الجوع ؟ وهل منهم من برده ؟ . . . وتقول لي نفسي : أمسك على الطوى فليس بين الناس من يرجي ، وليس

لست أكتب هذا لا كتب ؛ وإنما هي شكوى أطرحها هنا . . . أما طرفها الأول فهو أنا ، وأما طرفها الثاني فلا أدري أهو شعوري المرهف لكل كبيرة وكل صغيرة تمرُّ به ، أم هو وجداني المستوعب دائماً كل ما في وكل ما أنا فيه ، أم هو نفسي المتفتحة لكل ما ينتهي إليها من أمرها ومن أمر غيرها . . .
فأني في هذا الشعور بهذا الوجدان مع هذه النفس أعيش في الدنيا كسفينة المستكشف عملها في اليم أن تظل حائرة على وجه اليم فلا تكاد ترسو إلى شاطئ إلا لتتشد غيره ؛ ويتملك رأسي خيال يقظ لا يهجع . ويقظة الخيال شقاء من الفن فهي شقاء في كل مواقع الحس لكل نواحي الحس

وأراني منكوباً بهذا الخيال مرزوءاً بهمه ، ثم أراني أحبه ولا أحيا بغيره . . . فكأنما أنا بين بليتين فيهما مشكلتان لا حل لهما فلا نجاة منهما . . .

وأحس أنني قد قدر على أن أعيش هكذا حتى أموت هكذا ؛ فاستريح يوماً من سمي الخيال وراء ما يمني ومالا يمني ، ولا أقصر يوماً عن التفكير في صورته التي يستخرجها من صور الحياة . أراني مقطوعاً من قمة جبل عطرطاً عند سفحه ، وأريد أن أرى وأنا عند السفح ما أراه وأنا في القمة ؟ . . . أم تراني أخطأت إذ خلقت لتحتوي الدنيا فظننت أنني خلقت لأحتويها ؟ . . .

أمشي في الطريق فأرى قصاباً يمر بسكينه مرتين على رقبة ديك كبير ، ثم يقذف به مييداً ؛ فيقف صامتاً تتدفق الدماء من عنقه ، وتزوغ عيناه فتارة تشخص إلى القصاب ، وتارة تتطالع إلى الصبية اللتين حوله يشهدون مصرعه ، وتارة تنظر إلى وكأنها تقول كلاماً ، ثم رقص الديك رقصة الموت إذ ترنم النية ، ثم يرتعي على الأرض . . . فألقى عليه نظرة ساكنة ثم ألفت عنه وأخذ سبيلي فإذا هي على غير ما كانت عليه ، وكأن الشارع بما فيه من سابلة وما يحفه من مبان خلوة هادئة في وهدة غارقة بين نجدين . فأستعيد صورة الديك مضطرباً ثم مذبحاً ثم هامداً

طويل ، مكدوداً كالفارغ من عمل شاق ؛ وأنتى برأسى على الوسادة ثقيلًا كالحجر ، ساخنًا كالآتون ، ممتلئًا بما أفرغت فيه الشاهد والمشاعر من صور طول النهار ومعظم الليل . . . وفيما أنا أستشعر الخلو ، وأتلمس الاستقرار ، وأستكنى غنى عناء التفكير ، وأقنعه بضرورة الرقاد . . . يطرق مسمعى صوت بوم ينبع ، وأنا لأمقت كما أمقت اليوم طائرًا نافعًا أو ضارًا ؛ فأنهض من فراشى لا لأغلق النافذة دون ذلك الصوت الكريه البعيد فأزيد بعده أو أصدده ؛ وإنما لأطل من النافذة فأقترب من ذلك الصوت الكريه البعيد فأسمعه جيدًا لعانى أنهم غموضه فأفسره . . .

وتعمر من الليل فترة وما تكاد تنقضى حتى أجدنى قد انقابت عاطفا على اليوم واحداً في نفسيه جلالاً ولذة ؛ وما تغير هو حتى صار محبوباً ، وماتنيرتُ أنا حتى صرت أحبه .. ولكنى إذ أفتح لسامعه أذان نفسى أسمعه كالغنى ، وإذا أفتح لفتائه أذان عقلى أسمع فيه نداء المحب المشتاق للحبيب الغائب . . .

وأظل ألقى على نفسى في أمر اليوم ونسيه وشؤمه السؤال بعد السؤال ؛ وقد يأخذ هذا من راحتى ما أنا فى حاجة إليه الجسمى

وهكذا أرانى منكوباً بهذا الخيال مرزوءاً بهمه ، حتى ليقودنى إلى جنون شعمرى تأثر يفقدنى لذة التمتع بمظاهر الكون وجماله فى البحث عن حقيقة الكيان وأسراره

والعزيز على هو أنى لا أملك الخلاص من الخيال ، فأنا لا أملك الخلاص من هذا التنب - اللهم إن كان هذا من فطرة الشعر فلبثت الفطرة ، ونخير منها فطرة الجمود والبلادة

إن من الناس أناساً يعيشون فى هذه الحياة ليمشوا فقط ؛ لا فكر فى أدمغتهم ، ولا حرب فى عقولهم ، ولا نصب فى أفئدتهم . . . كأنما خلقوا جسوماً بغير قلوب ، ولكنهم سمعاء لأنهم يشعرون بأنهم سمعاء !!

أريد أن أجرب هذه السعادة فأطرح هموم الخيال ، وأنسى خيال المموم ، وأعيش بظاهر ما أرى . . . أريد أن أفهم ولو يوماً واحداً أننى سعيد وإن فهم الناس فى ذلك اليوم أننى شقى

السيد نبوية (مظنا)

غير الله من يسأل . . . فأقول لها وهل المحسن من الناس إلا يبدُ من الله تمد بالحسنة ؟ . . . فنقول لى : يد الله لا تنتظر السؤال لتعطى . . .

وتمطط حديث الوجدان ويطول ، وأظل أحمر ولا أستطيع إلا أن أحمر ؛ وقد يستغرق هذا من وجدانى ومن خاطرى ما أنا فى حاجة إليه للعمل

وأجلس فى غرفتى مسهداً فى هدأة الليل تشرف بى جلستى على دور ومن ورأىها حقول ومن ورأىها ما لا يرى . . . فتذهب عيني إلى مسارب الفكر ، ويفوص فكري إلى أعماق الكيان . فإذا أجد هناك ، وما يحمل نفسى من هناك ؟ !

أجد هناك إرادة الحياة تغالب إرادة الموت فتتجاوزان روح الانسان ، والانسان بينهما عاجز لا حيلة له ، ضعيف لا قوة فيه ، مسخر لا رأى عنده . . . وما تزالان تصطرعان حتى تهتديا إلى حل تصطلحان عليه ، هو أن يموت الانسان جزءاً من اليوم على قدر استعدادده للخمود والموت ، ويحيا بقية اليوم على قدر استعدادده للعمل والحياة ؛ وتتفقان على أن تسمى تلك الموتة اليومية الصغيرة بالنوم ، فيقال نام . . . حتى تعافه الحياة فتزل عنه الموت فيقال مات . . .

وتحمل نفسى من هناك ككلة الفناء ومهما كلة الألم ؛ وأقول لنفسى : حقاً إن هذا الذى نسميه النوم ما هو إلا راحة أصغر من راحة ، فهو موت أصغر من موت . . . يا محبياً !! أهكذا جعل الموت على رقابتنا حتى لم نحمل منه الحياة نفسها ؟ ! أهكذا خلقنا لنموت ونحيا كل يوم ثم نموت فى يوم فلا نحيا ؟ ! ثم أقول : يا ويلتناه . . . لن ألبث إلا قليلاً حتى أكون فى عداد هؤلاء الأموات الذين تركوا الدنيا وما يزالون فيها . . . فمنهم من ييمث ليأرق ثم يموت ، ومنهم من ييمث ليشرب ثم يموت ، ومنهم من تدخله موته الصغرى فى موته الكبرى فلا ييمث إلا يوم الحشر . . .

وأظل أتأمل وأتوزع بين التأملات ؛ وقد يشغل هذا من بصيرتى ومن إدراكى ما أنا فى حاجة إليه لقلبي

وأرى إلى مضجعى قبيل الفجر مهدباً كالقادم من سفر

ما ينفع لعم أو درس ، فهو داعماً ينظر في عطفيه ، ويتأمل ثيابه ويخرج من جيبه مشطه ومرآته ، ولولا بقية من حياه لأخرج أبيضه وأحمره وقلم شفتيه ...

وكنت أراه في باحة المدرسة فأراه غريباً عن هؤلاء الشباب لا يطبق حراكاً ، ولا يحسن لمبا ، ولا يدفع عن نفسه اعتداء ، وما فيه من الرجولة الا اسمه وبدلته

وحاولت اصلاحه ، وتمهدته بالنصح والارشاد ، فكنت كن ينفع في غير ضرم ، فأيست من اصلاحه وكرهته وأبغضته ، وجعلت أزوي بصرى عنه ، وأناساه وأمله ، ثم انتقدته فلم أجده ، ثم علمت أنه قد فارق المدرسة

وصرت أسايح ، ثم رأيت في مكانه طالباً جديداً من الطلاب الذين يتدربون على الجندية ، يلبس الثوب العسكري ، وعلى وجهه طابع الرجولة : له شاربان كاملان ، وأثر اللحية ظاهر على خديه ، والقوة والصرامة بادية في عينيه وملاحه ؛ وكان قوى النظرات ، صماعة جهير الصوت ، ذكياً مقبلاً على الدرس ، فطناً أليماً ؛ وكان سريع الحركة ، جرم النشاط ، اذا دعوته أقبل يسير بخطى موزونة ، يبطأ الأرض وطأ شديداً ، وقد نصب قامته ورفع رأسه ، فاذا قام بين يدي قرع رجلاً برجل ثم رفع يده بالسلام لا كما يرفعها مثل أو مثلك ، بل كما يرفع يده الجند بالسيف يستله من قرابه ، واذا كلمته أجاب بجرأة وأدب ؛ وكنت أراه في ساحة المدرسة ، فأراه على اجتهاده واقباله على العلم ، قوياً نشيطاً يصارع الطلاب ويياطحهم ، فاذا تمكن من منهم وعلا عليهم عفا عنهم وأبقى عليهم ، فكنت أعجب من قوته ونبله ، وعلمه وفضله ، وأكبر فيه هذه الصفات

ثم انني أحببت أن أشجعه وأضرب منه للطلاب مثلاً ، فتكلمت وأثنت ، وقلت : كم بين هذا وبين ذلك من فرق ... ! فصاح الطلاب : ومن هذا ومن ذلك ؟ انهما شخص واحد ؛ قلت : وبحكم ! فأى معجزة هذه التي بدلته شخصاً آخر ، وأنشأه انشاء جديداً ؟

قالوا : يا أستاذ ... إنه تدرب أسايح على الجندية ... (بفرار) على الطنطاوي

بغير عنوان ...

[إن وجدت في هذه الكلمة صراحة في الوصف ، فلا تنوموا الطيب فإنه يصف المرء ، ليعين الدواء]

للأستاذ علي الطنطاوي

كان شاباً غمراً ثقاً جميلاً ، صبور الوجه ، متأثراً ، قد أصيب بمرض الشَّجَمَل ... فلم يكن يجيء إلى المدرسة إلا متريناً مستعداً استعداد عروس تزف إلى بهاها ، قد صفف شعره ودهنه وعطره ولبده وعقره على سدغيه ، وحل وجهه وسقله ، وصنع به ما لست أدري ... فبدا أبيض أحمر مشرقاً بجلواً سقيلاً ، كأنه صفحة صرأة ... وكشف عن أعلى صدره ، وأحاط عنقه بهذه العقدة التي يفتن في عقدها واختيار لونها واتساقها مع الخلة التي يلبسها افتناناً ... ولا يزال أبدأ بمد يده إليها يتلمسها ، ويصلحها ويطمئن عليها ، ثم يحرك رأسه حركة غنجة يرد بها عقارب سدغيه إلى مكانها ؛

وكان واضح الجبين ، أزج الحاجبين حتى كأنهما قد خطا بقلم ، أنجل العينين أشبهما كأن لها لون السماء وعمق البحر ، وكأنهما تستجديان الحب ... إذا نظر غض الطرف من الحياء ، ودانى بين جفونه ، وبرقت عيناه الناعستان فقالتا كلمة فلم تم ، فأتمها فه القاني الصغير وشفته المضمومتان ... واذا تكلم تكلم بصوت لين حالم سكران ، كأن ألفاظه تقول شيئاً ، ولهجته وتبراته تقول شيئاً آخر ، تقول : إن رجولة صاحبى رجولة ضرورة ؛ واذا مشى تتنى وتخلع وتكسر ، وماج جسمه موجاً ، وذهب كل عضومته في ناحية ، كأن جسمه متفكك ، قد تقطعت أوصاله وفصمت عمراه وأنحلت لوابه واذا دعوته أقبل الى يتهادى ويميل ، فاذا وصل الى حيث أكون ، وجد أقرب متكأ فاستند عليه ، كأنه بناء لا يقوم الا اذا اسندته بدعامة ، واذا كلمته خجل كأنه فتاة في الخدر ، وأجاب بصوت خافت يكاد يبتله الخجل ، فكنت أزعم في وجهه من التئيط ، ثم أطرده طرداً ...

ولم يكن ينصرف الى علم أو يقبل على درس ، لأن عقله قد سال على جوانب جسمه خرقاً وثياباً ، ولم يبق منه في داخل

في الموسيقى

إلى الأستاذ محمد عبد الوهاب

للأستاذ محمد زروقي

وإني أشارك « نيتشه » رأيه الذي يقول بأن العاطفة يجب أن يعبر عنها الصوت دون غيره ، وألا نعطي للكلام أكثر مما يستحق من الأهمية ، ولذلك فأنتى أعطي الموسيقى نفس المرتبة التي يضمها فيها المفكرون : تلك المرتبة التي تحملها محل الكلمات العاجزة عند ما تكون هذه الأخيرة فقيرة وقاصرة أمام مطالب الحساسية القوية

الآن أنتقل الى الغرض الأساسى من خطابى :

حاولت فى بحث قصير كان موضوع إحدى المناقشات أن أوجد مقارنة بين الحساسية فى الغرب وبينها فى الوسط الذى أعيش فيه ، وذلك عن طريق دراسة أقوى وسائل التعبير عنها — ألا وهى الموسيقى — ولكى أعزز مناقشتى لجأت الى الأدب وتاريخه وشخصياته البارزة . وحينئذ أصبحت مدفوعاً الى أن أقدر بأن الغرب قد تأخر الى القرن التاسع عشر ليشهد ازدهار « المذهب الرومانتيكى » أى تلك الحركة الفكرية والفنية التى تشبه أدبنا الى حد بعيد . ولذلك فإن أوروبا لم تخلق إلا حديثاً ، وحديثاً جداً من يكمل ما بدأه عمر الخيام والمبرى والفردوسى . فالبنفثة الحزينة المؤلة التى بصها الفيلسوف شبنهور (١٧٨٨-١٨٦٠) هى التى ألهمت كل الموسيقيين الرومانتيكيين ، هؤلاء الموسيقيين الذين عالجوا مسائل القدر المقعدة ، وآلام الانسانية المحكوم عليها بالعذاب . وإن أشهر زعماء المتشائمين الغربيين ليس لهم أن يعلمونا شيئاً ، كما أن شوبان الذى قيل إن « توقيعاته ما هى الا دموع متساقطة على أصابع البيانو » لم يصل مطلقاً الى ما وصلت اليه أغانينا الحزينة حسب رأى على الأقل

ولاشك فى أن الموسيقى ليست عالية . فلن تستطيع أن تفهم « سيزار فرنك » كما يفهم نفسه أو كرجل مسيحي ، ولا « بتهوفن » بدون دراسة عميقة للفلسفة الألمانية . واني أحاول فى حكمى أن أنتاسى الآراء التى انتقلت الى بالورانه ، وأن أتحاشى التحيز والتمصب فى تقدي ، وأنا لا أنكر أن هذا العمل يتطلب منى جهداً عظيماً ، وتساعداً كبيراً . ولكن دراستى المتواصلة والبصيدة عن الهابة لشر ومدام دستايل وشاتوبريان ويرون وبودلير ، الذين أذكرهم هنا كقادة المدرسة الرومانتيكية ، لا ترسم لنا صورة جديدة أو أترأ يكون أجنبياً عنا حقيقة

سيدي الاستاذ :

لا أدري إذا كانت أعمالك الكثيرة تسمح لك بتوجيه بعض اهتمامك الى ملاحظاتي الآتية ، كذلك لا أدري إذا كانت وجهة نظري تبدو لك على صواب . وبالرغم من ذلك فاني أحسن الظن بك ، وأسجل هنا أنى أمل منك أن تتنازل لسباع صوت متواضع من بعيد لشخص من أكثر المعجبين بك والمتحمسين لك واسمح لي بادىء ذى بدء أن أوضح لك نقطة هامة راجحياً منك المغفر ورحمن بالقبول

وليس لي أن أوجه خطابي الجريء الى الأستاذ محمد عبد الوهاب الذى ليس لي شرف معرفته المعرفة الكافية ، ولكنى أوجهه الى فنانى المفضل ، الى ذلك الذى كثيراً ما أستمع اليه ، الى ذلك الذى يستطيع — كصديق حميم — أن يفتح لي قلبه بكرم فأرى وأميز قلبى منعكساً عليه

وهنا يخيل إلى أن معرفتى الدقيقة بالفنان — وهى ترجع الى مدة بعيدة — تحتم على ألا أخفى عنه شيئاً ، وإلا كانت بمثابة خيانة له . كما يخيل إلى أن تبادل الشعور يجعل لي الحق ، وربما يتطلب منى البحث عن شيء من أخطائه والاحتجاج على بعض وسائله بعد ذلك أبداً — إذا سمحت لي — بأن أعبر عن الأسف الذى يمتورنى عند ما أسمع بعض مقطوعاتك المشهورة مثل « فى الليل » و « اللى انكتب » باللهجة المصرية ، فى حين أن لغة امرىء القيس والتنبى هى التى كان يجب استعمالها إذا كنا نود أن نهدي الى أحفادنا مثل هذه الأعمال الخالدة . فذلك الذى أودع « يا جارة الوادى » فى أسطوانة يجب ألا يتقيسد بمحدود البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط ، وأن يظل ضمن الحدود التى اختطها الفراعنة « فاذا تم الوجاجة نفسها ما دامت تسكرنا ؟ »

تلعب دورها الهام : فان « بولديه » و « برليو » لا ينسبان
فضل أعمالهما الى نفسيهما فقط . . . لأنهما رضعا ألحانهما من
ندى أميها اللتين حصلتا عليهما بدورها من سبقوها ، وهما ليستا
إلا حلقتين من سلسلة طويلة

وايس من الغريب أن ترى وجوه الغربيين عند ما يستمعون
الى موسيقانا وقد ارتسمت عليها تلك الابتسامة التي ترسم على
وجوهنا نحن عند ما نستمع الى الموسيقى الأولية . وهناك حقيقة
أخرى أكثر خطراً ، وهي أن الأوربيين لا يكادون يفهمون من
أنامنا الموسيقية إلا ما استعترناه منهم ، وحيث أننا لم نوفق في
استمارتنا فهم لا يجمعون عن الحكم على الجزء الغربي منه
بأنه ردىء

وهذا ما يدفعني الى سرد أمثلة من خطواتك الحيرة غير
الموقفة : « فيحارة الفلجا » أغنية روسية واقعية تعبر عن المذئاب
العقلي والجأني الذي كان يمانيه سكان قلب روسيا ، وقد
أخذتها أنت بنفسك في فلم « الوردة البيضاء » وهو فلم شعري
خالص : فالشقة بينهما بعيدة بمدأ شاسعاً

و « بإشراعاً » وهي قصيدة مقدمة الى الملك فيصل عبارة عن
نشيد يراد به مدح بلاد الرافدين ، فهل يصح أن تقبل هذه النغمات
التي تحرك العاطفة بدون شك ، ولكنها خالية من الحمية
والمسلاطة التي يجب أن تكون عند من يريد أن يمدح ملكاً
محبوباً يعجب به ؟ ففى هذا النشيد نبحت عبثاً عن الحمية التي
نراها في نشيد « Le Marche du Prophete » ليريير الذي فيه
يعبر عن الكثير من العظمة والنبيل

وعند ما ننعم النظر في مقطوعاتك الأخيرة نلاحظ في حسرة
شديدة بأن « الحركة » قد زادت فيها كثيراً بحيث أن الأذن
تتساءل في حيرة عما إذا كنت أنت حقيقة الذي ملأت اسطوانة
« أيها العلم الخفاق » رقم ١٠٤، ١٠٩ (١)

(١) هذا المخطط غير القبول بين ألماننا والألمان الأوربية مما يتدعى
مزيج الأسف وهو في رأيي لا يختلف عن وضع المترددة فوق الككسي
يعطى له طعماً شبيهاً وهذه الحالة تذكركم بالبيئات الغربية الرديئة التي
كثيراً ما يعضها أغنياء الملحنين في منازلهم : تلك البيئات التي تتناثر مع
بدائع الفن ورائحه ، أو مع سجاد بخاري القديم وسجاد الفيروان والرباط
والرسوم الدقيقة على النحاس المنصوع في الأندلس وفي سورية

بقى علينا أن نتساءل في صراحة : أليست الموسيقى الغربية
التي لا تسير الا في المحيط النظري (البينافيزيقي) أكثر تأخيراً
من موسيقانا ؟

إن أوروبا مؤلفيها الموسيقيين في القرن التاسع عشر والقرن
العشرين — رغم أعمال سترافنسكي — تظهر مخبطاً لانهاية له
في محاولتها دراسة القضاء والقدر التي تتحكم في رقاب الناس .
فاعتبار هذه الحالة درجة من الكمال تستحق أن تحتذى كما
يحتذى التقدم العلمي ونظرياته تكون غلطة ما أقبحها من ذلك
الشخص الموهوب الذي يصدق على ضفاف النيل . فالبحث كذلك
عن مناح جديدة في الألحان الغربية واستخدام وسائل تعبيرها
يعد منا رجعة الى الوراء

وقد ظهر لي أن محاولتك نتجه يوماً بعد يوم نحو توافق
الأسوات واخراج مجموعة متنافرة منها في لحظة واحدة وبالتمية
محاولة التعبير عما يضطرم في نفسك بما تستخلصه من ذلك
كانت النعمة الفردية الأوربية دائماً أبدأ ضعيفة ، فلامجب
أن تراها تلجأ الى تلك الأسوات المتجمعة ؛ هذه الأسوات تعبر
عن أشياء متباينة ، ولكنها تصدر في وقت واحد لتنتج من
ذلك تآلفاً فيما بينها . ولا أدل على ضعف السلم الموسيقي الغربي
من اقتضاره على استعمال النغمتين فقط (ويلاحظ أن النعمة
المنخفضة ترجع الى عرب اسبانيا) في حين أن الفرس في العصور
الوسطى قد استعملوا ستا وثلاثين نغمة وأن الأندلسيين استعملوا
أربعين منها ، وأن الشرقيين بعكس المؤلفين الموسيقيين الحديثين
لم يجمعوا ألحانهم تعتمد على قدرة آلامهم وعلى الأخص على وضع
علامات لها

وليست الرغبة في استعارة آلات موسيقية عجمية «كوسيقى
اليد» إلا وقوعاً منا في نفس الخطأ الشنيع الذي وقعوا هم فيه
وتجنياً منا على الموسيقى الشرقية

وهما كانت محاولتك جريئة وتستحق الإعجاب فيجب
أن تعرف — في رأيي المتواضع — كيفية الرجوع الى مصادر
الأشياء ، وأن تتساءل عن ماهية العوامل التي تهيم الخلود
لفكرة ما ، وأن تفكر في النتائج التي يصح أن تنتظرها من
وراء هذا الاقتباس . وهنا يجب أن تعرف بأن قوانين الوراثة

أخرى تعبر عن مثال خالد : ذلك هو ألم الأشخاص المحكوم عليهم بالعمل اليومي الشاق المضني . فملك أيها الأستاذ أن تبحث في زوايا التاريخ عن ألحان أكثر إنسانية ! بل من السهل عليك أن تتخيل الأمهات في هذه العصور البعيدة وهن يهرزن مهود أطفالهن بنفس المحبة والعناية والحنان التي تبديها أمهات العصر الحالي . أليس من الخطأ والنفاق أن نعتبر وقع الألم النفساني الذي عاناه أسلافنا أخف على نفوسهم من وقع علينا ؟ وإني لأجد صعوبة في أن أتخيل الألحان الجميلة التي كانوا يعبرون بها ويصورون عواطفهم التي تنوب من الألم

وللرجوع إلى الحديث عن محاولات التجديد أو فرجة موسيقانا يمكنني أن أضرب مثلاً بأحد موسيقيينا الذي حاول منذ سنوات أن يمصر عن بعض مقطوعاتنا الشعرية بأوزان أوروبية ، فكان سبب نجاحه أنه قد استحدث شيئاً جديداً ولكنه كان نجاحاً قصير الأجل ، وسرعان ما أسدل النسيان ستاره على هذه المحاولة وحسناً فعل . وقد بدأ مضي الجزائر الحالي أو « كاروزو شمال أفريقية » كما أطلق على نفسه بالقاء مقطوعات تحترم موسيقانا القديمة ، ويجب على أن أشير أثناء حديثي إلى أن طرق التلحين الأندلسية الاثنتي عشرة التي لا زالت مستعملة في المدن الرئيسة بشمال أفريقية ليست إلا مخلفات وبقايا بالية في حاجة إلى عيون عالم بالآثار - وأقصد أذات رجل موسيق - لتكشف في هذه البقايا عن عظمة القطوعات التي كانت تردد تحت أبواب الحمراء المرمية ، أو تحت ظلال الأشجار الوارفة في اشبيلية وقرطبة (١)

ومهما يكن من شيء فإن استعمال هذه المخلفات القديمة لا يدخل كثيراً من التغيير على قواعد الموسيقى ، إذ أن في ذلك محافظة على تراثنا القديم

ولكن للغرب سحره الأخاذ ما في ذلك من شك ، لأن

(١) وإني لا أستطيع أن أتكلم أكثر من ذلك عن الموسيقى الأندلسية وحالتها الراهنة إلا إذا أطلت كثيراً في ملاحظات التي ذكرتها الآن . ومع ذلك فإني أشير هنا إلى أن العرض السريع الذي لم يبقه تحضير كاف لبعض نماذج من هذه الموسيقى الأندلسية في مؤتمر الموسيقى الأخير المنعقد بالقاهرة لم يكن عرضاً صادقاً بل خيابة حقيقية لأن الجمهور الذي يجمل ما اكتف عرضها من عوامل قد نظر إليها نظرة ليس فيها تقدير

فهل يجب علينا إذن ألا نلتوحى شيئاً عن الموسيقى الغربية ؟ لا بكل تأكيد . وليكن ذلك مجرد الاطلاع فقط . فن الضروري أن ندرس هوجو ولامرتين وشكسبير ورايندانا تاجور وإيسن وكينج وتولستوي وسرفنتس لكي نفهم الآداب العالمية ، وهذه الدراسة ليست أقل لزوماً من إرسال أبنائنا إلى الخارج لتمضية بعض الوقت في « مدرسة الفنادق في جرينوبل » أو في معالم الاختبار المرآكز الصناعية في « بري » و « برمنجهام » وفي الأحواض البحرية في « نانت » و « كيل »

ولكي أعزز رأبي هذا أذكر الحقيقة التاريخية الآتية : عند ما انتصر هرون الرشيد على الامبراطور نيقفور البيزنطي عام ٨٠٦ ميلادية نص في معاهدة الصلح بينهما على شرط يلزم الفلويين بتسليم العرب جميع المؤلفات التي خلفها القدماء والمخطوطات الموجودة في دور الكتب بالقسطنطينية القديمة . وقد برهن العاهل العربي مرة أخرى على ذكائه الفائق وفهمه للحقائق ، فقدّر أن شعبه يجب أن يتفهم ويستوعب سريعاً كل المعارف التي وقف السابقون على أسرارها ، وأن العرب بدون مساعدة غيرهم لا يمكنهم تأسيس حضارة ثابتة ؛ ولذا يجب عليهم أن يستعينوا بمن تقدمهم من مصريين وكلدانيين ويهود وفرس وهنود ويونانيين ورومانيين وقرطاجيين ، وأن يستفيدوا من معارفهم ، وأن يتوفروا على دراسة أوراق البردي واللوحات ونمايل الآلهة . فبعد أن درس العرب المصور السابقة أمكنهم أن يضيفوا معارف من سبقهم إلى معارفهم الخاصة التي سبقت على مدى الأيام

وكذلك اليابان : فالذي فعله حزب التجديد عندما تبرع في دست الحكم عام ١٨٦٨ ؟ لقد بدأ بدراسة مبادئ الأحزاب الأخرى في الدول المتقدمة

فإذا تحدثنا عن القلب ونشاطه والحساسية وطرق التعبير عنها وجدنا الأمر هنا مختلفاً عن ذلك ، وهذه النقطة الهامة هي محور بحثي : فالاحساس التناهي ورد الفعل وتجميع التأثيرات النفسانية لا يمكن أن تقارن بالمعارف التي يمكن اكتسابها

وهناك نقوش فرعونية تذكر بعض النصائح الوجهة من أم إلى ولدها يوم أن مهلت به إلى أستاذه . وهناك نقوش

صراع دائم .. الموسيقى العربية تحتضر كل يوم بانصافها بالموسيقى الغربية ؛ وستموت الموسيقى الشرقية إن عاجلاً وإن آجلاً إذا لم تتأخر على مقاومة الموسيقى الأوربية الزاحفة عليها بموسيقى شرقية بحثة

قد أكون فيما كتبته أعبر عن أسنيتي . فالفنان الكبير الذي لمصر نغز الاحتفاظ به ، والذي له تلك المهارة الفائقة التي استطاع أن يهضم بها بعض القطع الخالدة في الموسيقى الرومانتيكية ، لن يعجز بفضل ما وهبه الله من حسن اختيار أن يوفق في أعماله القادمة في مزاج الموسيقى العربية بالانجليزية بدلاً من المجهود الضائع في اخراج ثمرة غير ناضجة لا يهضمها الذوق العربي . وإلى أنني له التوفيق المعطرد والتفوز العظيم

(تحمسه) محمد رزوقي

مغنيننا الجزائري خضع لتأثير الأوبرا ، واستمع بسرور إلى الألحان القصيرة من الأوبريت والصلوات ؛ تلك الألحان التي طفت شيئاً فشيئاً على مقطوعاته حتى أصبحنا الآن نلصق فيها أكبر فشل فني مريب

وقد سارت الرحومة أنيسة يامنة الجزائرية في طريق مخالف لذلك كل المخالفة . فهذه الموسيقى انتهجت نهج الفناء القديم الذي يمكن تقدير أهميته ، واستندت إلى شعورها النوى القوي وخبرتها الموسيقية الطويلة . وكانت تذهب للاقامة بين أفراد الطبقة الفقيرة وبين العرب الرحل لتنتزف من شعورهم البسيط الخالي من كل زخرف ثم تعود بمحصول غني متنوع وفير ، وبعد ذلك تستسلم لتفكيرها ولأبحاثها وتستمع إلى نفسها وتستوحى صوت أجدادها ثم تترك قلبها يعبر عما في خلاها بألحان تحلب الألباب

وإني أعرف الكثير عن الطريقة المخالفة لتلك التي يتبعها الأستاذ ، وبمعى آخر ترجمة الغربيين واقتباسهم لموضوعاتنا ؛ وأسوق اليك هنا مثلاً مشهوراً لأوضح وجهة نظري : أقام المؤلف للموسيقى سان سانس حقبية طويلة في الجزائر ، ولذلك يقوم مؤلفه المشهور « شمشون ودليلة » على طريقة التلحين الأندلسية « زيدان » . ولا أردد في أن أضيف إلى هذا المثل مثلاً آخر فيما فعله ف . دافيد الذي أمكنه بعد رحلة طويلة إلى الشرق أن يخرج مؤلفيه : « الصحراء ، ولالاروك » . وكذلك فعل الاسبانيون وكذلك « بيزت » في « كارمن » (١٨٧٠) وغير هؤلاء من الذين يدينون بالشيء الكثير إلى الأندلس في القرون الوسطى . ومثل هؤلاء أيضاً موسيقي وسط أوروبا مثل لحت وشوبر وموزار وبعض موسيقي أمريكا الجنوبية أيضاً الذين وجدوا في ألماننا مورداً فياً لا ينضب

والآن أعود متسائلاً إذا كان العكس ممكناً : فتقدم الموسيقى الغربية - في رأيي - قد بدأ يصل إلى درجة التشاؤم التي تكلمت عنها من قبل . وإني لا أفكر لحظة في أن أحظ من شأن « الأرتزين وفيدليو ولوهنجرين » ولا أريد إلا أن أضع كل موسيقى في الوضع المناسب له . وأني لأذكر هنا ما قاله المسيو « أندريه كوردي » في مؤلفه « مشاهد الموسيقى العصرية » :

فرصة أدبية للأمر نوفمبر فقط

كتب بقلم محمد عبد الله عنانه

مصر الإسلامية

ثمنه ١٥ قرشاً ويباع بنخمس ٣٣٪ أى بـ ١٠ قروش

قصص اجتماعية

ثمنه ١٠ قروش ويباع بنخمس ٤٠٪ أى بـ ٦ قروش

أبيه خلدوه حياته وتراثه

ثمنه ٨ قروش (مجلداً بالكرتون)

وتمن الثلاثة كتب مما ٢٠ قرشاً أى بنخمس ٤٠٪
عنا البريد ، وهو قرشان عن كل كتاب داخل القطر وأربعة خارج القطر ولثلاثة كتب ٥ قروش في الداخل وعشرة في الخارج ويطلب من مجلة (الرسالة) ولجنة التأليف والترجمة بشارع الكرداسي ومكتبة النهضة بشارع المدابع وبقي الكاتب الشهيرة وطلبات المجلة من المؤلف تليفون ٤٤٦٨٣

الفصل في نبوة المتنبى

من شعرة

للأستاذ عبد المتعال الصعیدی

— ٣ —

ولنمد إلى النظر في قصيدة المتنبى :

كَمْ قَتِيلٍ كَمَا قُتِلْتُ شَهِيدٍ بِيَاضِ الطَّلِي وَوَرْدِ الْخُدُودِ
فقد ابتدأها المتنبى بالنسب على عادة الشعراء ، وتدل في ذلك
النسب كل التلذذ ، وقتل نفسه فيه من فرط الصباية والوجد ،
ثم ذكر أيام الصبا والجهل وحن إليها ، وتفان في وصف الحسان
اللاقى نسب بهن أيما تفان

ولم يكفه ذلك التلذذ في النسب ، والتفان في وصف النساء ،
بل عمد إلى الخمر ينسب بها أيضاً ، ويتدلده فيها بأكثر مما تدله
في نسيبه

ولا شك أن هذا الأسلوب في النسب ووصف الخمر ،
لا يتفق مع ذلك الأسلوب الذي ينسب إليه في دعوى النبوة ،
ولا يمكن أن يحصل هذا وذاك من شخص واحد ، لا اختلاف
تزعتهما ، وتباين المشارب فيهما ، وانجاء كل منهما إلى غاية تخالف
الأخرى ، فهو فيما ينسب إليه في دعوى النبوة رجل جد وصلاح ،
مبعوث إلى هذه الأمة الضالة المضلّة ، ويريد أن يملأ الأرض عدلاً
كما ملئت جوراً ؛ وهو في قرآنه يدعو إلى الإيمان ، ومحارب
الاحاداد ، ولكنه في شعره هازل خليع ، يدعو إلى الفسق
والفجور ، وينغمس في حماة الضلال ، ويبلغ من أمره أن يسمته
بالإيمان والتوحيد إلى هذا الحد في قوله :

يترشّفن من قَمِي رَشَفَاتٍ هُنَّ فِيهِ أَحْلَى مِنَ التَّوْحِيدِ
وهذا البيت يذكر فيما يؤخذ على المتنبى من الاحاداد في الدين
فكيف يتفق أن يأتي في شعره وهو في عهد يدعو فيه إلى
التوحيد ومحارب الاحاداد ويزعم فيه أنه نبي مرسل ؟

ثم يبلغ أيضاً من أمره عند ما أخذ في وصف الخمر أن يقول
فيها هذا القول :

كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدَّمَاءِ حَرَامٌ شُرْبُهُ مَا خِلا دَمِ الْعَنْقُودِ
فأى نبي هذا الذي يحلل الحرام ويحرم الحلال ؟ وأى ضلال

يحاربه وهو يدعو إلى هذا الضلال ؟

وقد جاء البيت الأول في بعض الروايات :

يترشّفن من قَمِي رَشَفَاتٍ هُنَّ فِيهِ حَلَاوَةُ التَّوْحِيدِ
وهو في هذه الرواية أخف في الاستهتار من روايته الأولى
وهي الرواية المشهورة

فلما جاوز في قصيدته هذا كله ، ووصل إلى مقصوده من
الفخر بنفسه وشكوى حاله ، وحمل نفسه على تحمل الصواب في
سبيل آماله ، كانت آماله أشياء أخرى دينوية ، ولم تكن هي
الآمال التي تنسب إليه في دعوى النبوة ؛ فليس لهذه الآمال
ذكر هنا ، ولا تشتم لها فيه رأحة ، وإنما هو هنا رجل يسمي
في اكتساب المجد ، ويكد في طلب الغنى والمال ، ويشكو من
اخفاقه في هذا الطلب مع كثرة سميّه فيه :

ضاق صدرى وطال في طلب الرِّزِّ قِي قِيَامِي وَقَلَّ عَنْهُ تَعُودِي
أبدأً أقطع البسلاذ وبجمي في محوس وهمتي في سُمود
وهو أبدأً مولع بذلك الاستهتار حتى في مقام الجسد ، فإذا
أمر بطلب العز لا يفوته أن يقول إنه خير من الذل ولو كان في
جنة الخلد ، وأن يفضلّه ولو كان في لظى على الذل

فاطلب العزّ في لظى وذّر الذلّ ولو كان في جنان الخلود
فقل هذا لا يصح أن يكون من شخص يدعى النبوة ، ويدعو
الناس إلى العمل الذي يوصلهم إلى نعيم الله في الجنة . ولا فرق
بينه في هذا وبين ذلك الشاعر الجاهل الذي سبقه إلى ذلك
المعنى ، وكان له من جاهليته ما يهون من أمره فيه ، وهو ذلك
الشاعر الذي يقول :

حكم سيوفك في رقاب العذل وإذا بليت بدار ذلّ فارحل
دار النعيم بذلة بكهّم وجههم بالعز أكرم منزل
وكذلك هذا الفخر لا يليق ممن يدعى النبوة :

إن أكن معجباً فمُعْجَبٌ مُعْجِبٌ لم يجد فوق نفسه من مزيد
أتأرب التدي وربّ القوافي وسامّ المدى وغيط الحسود
وهكذا نخرج من دراسة هذه القصيدة بيقين لا شك فيه ،
أنها لا تتفق مع تلك النبوة المزعومة للمتنبى ، فاما أن تكون
هذه القصيدة مختلقة عليه ، وإما أن تكون تلك النبوة مكذوبة .
وإذا كانت هذه القصيدة للمتنبى باتفاق الفريقين المختلفين في أمر
نبوته ، فإن تلك النبوة تكون هي المكذوبة قطعاً

وهذه قصيدة ثانية للتنبي ، قالها في ذلك العهد الذي ينسب إليه فيه إهداء النبوة :

ضيفُ ألم برأسي غير محتشم
ابعدُ بمدت يابضاً لا يياض له
بجِبِّ قاتلتني والشيب تغذيتني
فأمرُ رسم لا أسائله
تنفست عن وفاء غير منصدع
قبلها ودموعي مزاج أدمعها
فدقت ماء حياة من مقبباتها
ترنو إلى بعين الظبي مجبشة
رؤيد حكدك فينا غير منصفه
أبدت مثل التي أبدت من جزع

ولم بجبي الذي أجننت من ألم
إذن لبرك نوب الحسن أصغره
وصرت مثلي في نوين من سقم
ليس التمدل بالآمال من أربى
ولا القناعة بالأقلال من شيعي
ولا أظن بنات الدهر تركني
حتى تسد عليها طرقها همي
لم الليالي التي أخت على جدتي
برقة الحال واعذرتي ولا تلم
أرى أناساً ومحصولي على غم
وذكر جود ومحصولي على الكلم
ورب مال فقيراً من مسروته
لم يُثر منها كما أرى من الدم
سيصحب النصل مني مثل مضربه

وينجلي خبري عن صمة الصم
لقد تصبرت حتى لات مصطبر
فالألآن أقحم حتى لات مقنم
لأركن وجوه الخيل ساهمة
والظمن يحرقها والزجر يلقها
حتى كأن بها ضرباً من الدم
قد كتمتها العوالي فهي كالحفة

كأنما الصاب مصوب على اللجم
بكل منصلت ما زال منتظري
حتى أدلت له من دولة الخدم
شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة
ويستحل دم الحجاج في الحرم
وتكنني بالدم الجاري عن الدميم
ردي حياض الردي يا نفس وأتركي

حياض خوف الردي للشاء والنسم
إن لم أذرك على الأرماع سائلة
فلا دعيت ابن أم المجد والكرم
أعلك الملك والأسياف ظامئة
والطير جائعة لحم على وضم
ولو مثلت له في النوم لم ينم
من لو رأى ماء مات من ظم

ميمادُ كل رقيق الشفرتين غداً

ومن عصا من ملوك العرب والمعجم
فان أجابوا فما قصدي بها لهم
وقد افتتح التنبي هذه القصيدة بدم الشيب الذي ظهر فيه
قبل أوانه ، فخل في رأسه ضيفاً تقيلاً غير محتشم ، وبدأ يياضه في
عينه أسود من الظلم ، وقد اجتمع عليه بذلك أمران صار له
كالغذاء : حب مبكر في عهد الطفولة ، وشيب مبكر في بلوغه
الحلم . ولا شك أن من يتبرم بالشيب هذا التبرم لا يتحدث نفسه
بإدعاء النبوة وما يلزم لها من إظهار الصلاح والتقوى ، والفرح
بالشيب إذا أقبل ، لأنه كما قال بعض الحكماء : زهرة الحنكة ،
وثمر الهدى ، ومقدمة العفة ، ولباس التقوى . وأين قول التنبي

في هذا من قول دعبل بن علي
أهلاً وسهلاً بالشيب فإنه
ضيف ألم بفرق فقريتسه
رفض الغواية واقتصاد البهيج
فقل هذا هو الذي كان
يقوله التنبي في الشيب لو صح
ما ينسب إليه في دعوى النبوة ، وهو الذي يتفق مع الغاية التي
تنسب إليه فيها

ثم مضى التنبي يتنزل على أسلوبه في قصيدته الأولى ، يسأل
كل رسم ، ويجري في حب متنقل وراء كل ذات خمار ، وهو
حب شهوي كحب ابن أبي ربيعة وغيره من الشعراء الذين تسهويهم
كل ذات جمال ، ولا يعرفون في حبهم شيئاً من الوفاء ، بل
يتحدثون عن وفاء النساء لهم ولا يفون ، كما تحدث التنبي عن
ذلك في قوله :

تنفست عن وفاء غير منصدع
يوم الرحيل وشعب غير ملتئم
وقد يتفق لنبي أن يسمع هذا النوع من النزل إذا كان ربنا
كما حصل للنبي صلى الله عليه وسلم في سماعه قصيدة كعب بن زهير
بانت سعاد قلبي اليوم متبول
مقيم إثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا
إلا أغن غصبي الطرف مكحول
هيفاء مقبلة مجزاء مدبرة
لا يشتكي قصر منها ولا طول
تجولع وارض ذى ظلم إذا ابتمت
كأنه منهل بالراح معلول
إخالها خلة لو أنها صدقت
موعودها أولوان الوعد مقبول
لكنها خلة قد سيط من دما
فجع وولع وإخلاف وتبديل
واكن فرقا كبيراً بين سماع هذا النوع من النزل وإنشائه ،
ورب شيء يقبل من شخص ولا يقبل من شخص أعلى منه ،

وإدعاء مثل هذه الدعوى من النبي في علمه وذكائه تقتضى منه الحيلة في أمره ، وتوجب عليه ألا يظهر بين الناس بهذا المظهر في شعره ، حتى يصدق الناس في دعواه ، ويتنم حاله فيها التناهي بخدعهم فيه

ويجب علينا بعد هذا أن نأخذ في هذا اللقب بما نقله ابن جني عن النبي نفسه ، وقد ذكرناه فيما سبق ، فلا نعيد هنا ، ولكننا نذكر في ذلك مذهبا للأستاذ « محمود شاكر » رأى أنه أقرب إلى الصدق ، وأولى بالاعتبار ، وهو أن النبي نزل هذا النبؤ من أجل أنه كان في أول أمره متورعا في خلقه لا يخرج عن حدود الوفاق ، متمتعا لا يابن للشهوات ولا ياتي إليها بقاده مترفعا عن سفاسف الأخلاق متمسكا بما لها ، آخذا نفسه بالجد الذي لا يقتر ؛ وكان لا يقرب التهم ولا يدانها ، فسا كذب ولا زنا ولا لاط ، ولا أتى أمرا منكرا يؤخذ عليه ، أو يُزَنُّ به . واستمر على ذلك حياته كلها ، وخالف الأدياء والشعراء من أهل عصره فاشرب الخمر ولا حمل وزرها ، ولولا اضطراره فيما ترى لما حضر مجلسها . وكان الأدياء والشعراء في ذلك الوقت أهل شراب ومماقرة وهو وهزل وباطل ، فلما وجدوا ما هو فيه من التعفف والتورع ، ووقعوا على كثرة دوران أسماء الأنبياء في شعره ، وتشبيهه نفسه بهم ، نزوه هذا النبؤ ، ولقبوه بالنبي يريدون التشبه بالأنبياء

ولاشك أن هذا غلو من الأستاذ في أمر النبي ، وقد روى عن بعضهم أنه عاشره فآراه كذب ولا زنا ولا لاط ، ولكن هذا لا يكفي لأن يحمل منه الرجل الصالح الزاهد المتورع الذي يصفه الأستاذ محمود . على أن هذا الاشتقاق لا يدل على التشبه وإنما يدل على الادعاء ، وقد جاء في القاموس (وتبأ ادعى النبوة ومنه النبيء أحمد بن الحسين) وإنما يقال في ذلك تآله ، لأن التآله التتمك والتعبد ، ولم يلصق هذا اللقب بالنبي إلا لأجل الكيد به ، وإيهام أنه ادعى النبوة ، ولهذا كان يكرهه النبي . ولو كان لهذه الأغراض المذكورة لفرح به وهش له ، والخطب في هذا سهل بيني وبين صدق الأستاذ محمود شاكر ، بعد اتفاقنا على أن هذه النبوة مختلفة على النبي ؛ وإني لأحب أن أثير في هذا جدالاً بيني وبينه ؛ ولعله يتفانى عن هذا الخلاف القليل بيننا ، ليكون ما ذكرناه هو القول الفصل في هذا الموضوع حقا

هـب المتعال الصعيرى

ورب حسنات في ذلك تمد سيئات ، ورب سيئات تمد حسنات . ولا شك أن مثل هذا النزول لا حرج فيه على كعب رضى الله عنه ، وقد سمعه النبي صلى الله عليه وسلم على هذا الاعتبار ، وإن لم يكن من شأنه هو أن ينشئه

ثم افتضب النبي نسيبه اقتضابا ، وابتدأ مقصوده من قصيدته بقوله :

ليس التعل بالآمال من أربى ولا القناعة بالافلال من شيمى
فاذا هو فيه طالب دنيا لا أكثر ولا أقل ، وإذا به لا يرضى في ذلك بالقليل ، وينفر من صفة القناعة التي حث عليها جميع الأنبياء قبله

وهو في ذلك أيضا نأثر على دهره الذي يفقر مثله على مروءته وشجاعته ، ويفنى سواء على فقره من المروءة والشجاعة ؛ نأثر على تلك الدول التي أقامها في عصره خدم العباسيين الذين كانوا يجلبونهم أرقاء فيصبحون ملوكا على الناس ، فهو يقيم الدنيا ويقعدها من أجل تلك المهازل في نظره ، ويرى نفسه أعلى شأنًا من هؤلاء الخدم ، وأحق منهم بهذا الملك الذي استأثروا به لأنفسهم

وهو هنا لا يتحدث عن عدل وجور كما يتحدث فيما ينسب في دعوى نبوته ، بل يتطش إلى الحرب والقتال كما يتمطش كل فارس جبار يشقى سفك الدماء ونشر الفساد في الأرض ولا يتحدث كذلك عن إيمان وكفر ، بل يتحدث عن خدم أقاموا لهم ملكا هو أحق به منهم لما امتاز به من المروءة والشجاعة عليهم

ثم تراه لا يقلع في هذه القصيدة عن استهتاره ، وأخذه فيما يدل على ضعف دينه ، فيقول

بكل مُنصَلتٍ مازال مُنتظرى حتى أدلت له من دولة الخدم
شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة ويستحل دم الحجاج في الحرم
فالتى يقول هذا لا يمكن أن يأخذ وسيكته إلى الناس دعوى النبوة ، لأنها تقتضى منه شيئا آخر غير هذا الاستهتار ، وتواضعا في القول غير هذا التجبر ، واقتصادا في الحديث عن النفس غير هذا الاسراف في الفخر

وسبيل هذه القصيدة بعد هذا سبيل القصيدة السابقة في القطع بكذب هذه الدعوى على النبي ، لأنها تظهره في ذلك العهد بخلاف المظهر الذي يظهر به فيما ينسب إليه في دعوى النبوة

تاريخ العرب الأدبي

للأستاذ رينولد نيكلسون

الفصل الأول

- ٥ -

لم تصلنا منه أية نسخة للأسف كان يسمى « كتاب الملوك وأخبار الماضين » وقد تكلم عنه السمودي^(١) (٩٥٦ م) ككتاب معروف متداول في محيط كبير ، كما اعتمد عليه فيما بعد شارح « القصيدة الحميرية » إما مباشرة أو بواسطة الأكليل للهمداني . وقد نعتبره - كما اعتبره الشارح نفسه - كقصيدة تاريخية لكثير من شخصياتها وحوادثها أساس من الحقيقة والواقع قد موّت بكثير من القصص الخيالية والقصائد المكذوبة ، مما يجد فيها السامع خير عون له على أداء مهمته . ومن بين المؤلفين المسلمين القلائل الذين اهتموا بدراسة تاريخ عرب الجنوب في العصر السابق للإسلام حمزة الأصمغاني ، وبعدهما الكتاب الثامن من تاريخه (الذي انتهى منه عام ٩٦٦ م) بتفاصيل تاريخية دقيقة موجزة عن التبابعة أو ملوك اليمن الحميريين

خلف قطان - جدّ أعراب الجنوب - ابنه يعرب الذي يقال إنه أول من اتخذ العربية لساناً ، وأول من أخذت له التحايا التي اعتاد العرب أن يحموا بها ملوكهم كقولهم « أنم صباحا » و « أيتت اللعن » وقد اشتهر حفيده عبد شمس سبأ باسم مؤسس مأرب وباني سدها المشهور ، وإن كان هناك آخرون يقولون إن مؤسسه هو لقمان بن عاد ، وكان لسبأ ولدان حمير وكهلان ، وقبل موته عهد إلى حمير بالجلوس على العرش وإلى كهلان بحراسة التخوم ، وشن الغارات على الأعداء ؛ ومن ثم كانت لحمير السيادة واتخذ اسم « أبو أيمن » وأقام في عاصمة المملكة بينما تمهد كهلان بالدفاع عنها وتبدير الحروب^(٢) وبالإغضاء عن سرد سلسلة نسب الملوك السبئيين الخرافيين الذين لا تذكر القصة عنهم إلا قليلاً جداً ، فإنا نغضى إلى ذكر حادثة رسيخت في أذهان العرب رسوخاً لا يمكن استنصاله منها ، ألا وهي الحادثة المعروفة عندهم بسيل العرم أو فيضان السد

وإن نفس عاطفة الوطنية المتأججة في صدر الهمداني والتي بمقتها على أن يخص نفسه للبحث العلمي قد أوحى إلى نشوان ابن سعيد - الذي ينتمى من ناحية الأب إلى أسرة قديمة من أشراف اليمن - أن يتذكر الماضي الخرافي ويتعلق بأحياء مجد أمباطورية زالت معالمها ودرست آثارها . وإنه ليتغنى في « القصيدة الحميرية » بمظمة وقوة أولئك الحكام الذين تبوأوا عرش أمته ، ويؤوّل في روح إسلامية حقة حقيقة الفناء والحياة ، وحقارة المطامع البشرية^(٣) ، ومع أن هذه القصيدة في ذاتها قليلة القيمة فإنها تعتبر وثيقة قيمة - نوعاً ما - لاشتمالها على أسماء الملوك^(٤) ، ومعها شرح تاريخي وإن لمّا أن يكون كاتبه نشوان نفسه - وهذا ما يرجحه فون كريمر - أو أحد معاصريه . والذين لا يرون التاريخ إلا بمجل حقائق لن يجدوا مأربهم في هذا التعليق ، إذ زى خيوط الحقيقة معقدة متشابكة مع أساطير خرافية مكذوبة ، وقد وضع القصاصون في فجر الإسلام صورة حرفية مثل هذه الأساطير ، من ذلك أن أحد عرب الجنوب واسمه « عبيد بن شرية » زار دمشق تلبية لدعوة الخليفة معاوية بن أبي سفيان الذي سأله « عن الأخبار المتقدمة ، وملوك العرب والمعجم ، وسبب تبلبل الألسنة وأمر افتراق الناس في البلاد^(٥) » وطلب إليه أن يكتب وأمر أن يجمع وتكتب إجابته كلها ثم تنشر باسمه ، وهذا العمل الذي

(١) Die Hajarische Kasidsh herausgegeben und übersetzt von Alfred von Kremer (Leipzig, 1865) . W. F. Lideaux: The Lay of the Himyarites (Sshose, 1879)

(٢) كان نشوان طالما لغويًا شهيرًا ، وإن قاموسه الكبير « شمس العلوم » لحمير عون لمن يدرسون آثار حرب الجنوب ، وقد اعتمد عليه D. H. Müller في تصحيح أسماء الأعلام التي وردت في « القصيدة الحميرية » وقد قام الدكتور هزم الدين أحمد بطبع مقطعات من « شمس العلوم » تطلق باللغة العربية الجنوبية (E. S. W. Gibb Memorial Serie, vol. xyliv.)

(٣) الفهرست لابن النديم ص ٨٩ ص ٢٦

(١) وما قاله السمودي « ولم يصح عند كثير من أهل الدراية بأخبار الماضين وسير النابرين من العرب وغيرهم من القدمين فيها إلا خبر عبدين شرية وأخباره مما سلف من الأيام وما كان فيها من الكوائن والأحداث وتعب الأنساب ، وكتاب عبيد بن شرية في يد الناس مشهور » راجع « صروج الذهب طبعة باريه دي ميناردج ٤ ص ٨٩ » (المترجم)

(٢) Von Kremer: Die Tüdarabische Sage, P. 56
ومن الممكن أن تكون هذه القصة (كما يرى كريمر ص ١١٥) رمزاً لحقيقة ثابتة تلك هي تشعب السبئيين إلى فريقين كبيرين : حمير وكهلان وقد كانت القوة في يد الأول

وأعم النظر نشاهد جرذاً يحرك حجراً كبيراً بهجز خمسون رجلاً
جلداً عن نقله من مكانه فأيقن عمرو أن السد منهار ، وأن
الأرض لا بد هالكة عن عليها ، فزم على بيع أملاكه والرحيل
بمائلته ، لكنه خشى أن يبعث الاضطراب إلى قلوب السكان ، فدير
حيلة ناجمة ، ذلك أنه دعا أشراف المدينة ورووسها إلى وليمة فاخرة
مدها لهم ، واتفق مع ابنه أن يثيرا الخلاف بينهما (أو بينه وبين
البيتيم الذي درج في بيته كما يقول آخرون) وتبودلت بينهما
الضربات فصاح عمرو : « وافضيحتاه !! أنى يوم مجدى ونفري
يسبنى ويلطمنى غلام عاق ؟ » ثم أقسم أن يقتل الفتى ، فتوسل
إليه ضيوفه أن يرجه ويرأف به فأجابهم ، بيد أنه أقسم قائلاً :
« لا أقيم يبلى لطم وجهي فيه أصفر ولدى وسأبيع أرضي
ومتاعي » وإذ نجح في الخلاص من أعبائه — إذ لم يعدم
مشترين لبوا دعوته واغتنموا غضبته — لم يتردد في أن يخبر الناس
بما يهددهم من بلاء ثم بارح مأرب على رأس جمع حشيد ، ثم
أخذت المياه تنقب السد شيئاً فشيئاً وتغمر الأرض ، مرسله في
لجتها الدمار طولاً وعرضاً ، ومن هنا نشأ المثل القائل « تفرقوا
أيدي سبأ » أي تشتتوا كما تشتت قوم^(١) سبأ

وإن ذلك الطوفان ليؤرخ فترة من تاريخ بلاد العرب الجنوبية
ثم غاضت المياه واخضرت الأرض بمد انحلال وعادت إلى
الابناح والزرع ، بيد أن مأرب ظلت مهجورة ، واخفق السبئيون
إلى الأبد إلا ما يذكره الأعشى في قصيدة له من قوله^(٢)
وفى ذاك للثؤنسى أسنوةً ومأربٍ عَضَّ عليها العرمُ
رحامُ بنته لهم حنيرٌ إذا جله موارُه^(٣) لم يرم
فأروى الزروع وأعناها^(٤) على رسة ماؤها إذ قسَم
فصَارُوا أيادي ما يقدرُون منه على شربِ طفلٍ فطيم
وليست في كلام الشاعر عن حير دقة تاريخية ، أما الجيريون
وعاصمتهم ظفار (صنعاء فيما بعد) فقد صاروا حكام اليمن بعد

(١) Freytag: Arabum Proverbia, Vol I, P. 497

وترجمته هكذا

Abiesunt tanquam agmina Sabaeorum; et dispersi sunt
tanquam agmina Sabaeorum

(٢) الهداني : الأكليل الكتاب الثامن طبعة ميلر في S.B.W.A.

في فينا ١٨٨١ ج ٩٧ ص ١٠٣٧ ، وقد نقل هذه الأبيات ياقوت الحموي في
شيء من التفسير في معجمه (طبعة وستفالد) ج ٤ ص ٣٨٧ وابن هشام ص ٩

(٣) بنتع الميم وبعضهم يرويه بالضم والفتح أصح مأخوذ من قوله تعالى

« يوم نحور السماء مورا »

(٤) قوله « فأروى الزروع وأعناها » أي أعنا تلك البلاد

(ابن هشام)

على بضعة أميال قلائل من الجنوب الغربي لمأرب تمتد الجبال
متلاحمة تاركة فيما بينها أخدوداً يشقه نهر « أدنة » الذي يجف
غالباً مجراه خلال فصل الصيف ؛ أما في الشتاء فتسقط الأمطار
الغزيرة وتتدفق المياه بقوة هائلة تكاد لا تحتمل ، فلكي تكون
المدينة بمنجاة من الفيضان ولأجل تنظيم الري وزرع الأرض
وفلحها بنى الأهالي سداً من الحجر الصلد استرعى خيال محمد بعد
أن دمر تماماً ، وعده المسلمون إحدى عجائب الدنيا^(١) . وليس
بغريب أن ألبس مؤرخوهم تلك الحقيقة المجردة (انفجار السد)
ثوب حادثة فضفاضة طريفة^(٢) وإذ آذنت شمس القرن الثالث
لديلاذ بالغيب^(٣) أو قبل ذلك بقليل كان يتربع على عرش مأرب
عمرو بن عامر ماء السماء المزني^(٤) ، وكانت زوجته « ظريفة »
ماهرة في علم الكهانة خيرة بفنونها ، وقد رأت أحلاماً ورؤى
تفني عن شرح جسم يهددهم ، وفي ذات يوم قالت لزوجها الذي
لم يكن يشق في عراقها : « امض إلى السد فإن أبصرت فأرأ^(٥)
ينبش السد بمخالبه ويقذف قطعاً كبيرة من الصخور بقدميه
الخلفيتين فتيقن بأن المذاب قد حل بنا » فضى عمرو إلى السد

(١) لقد كان لسبأ في مكنتهم آية جتان عن يمين وشمال كلوا من رزق
ريكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل
المرم وبدلناهم بمجتهم جنتين ذواتى أكل حط وأثل وشيء من سدر قليل
» ٣٤ : ١٥ — ١٦ من القرآن ، أما الخرائب الباقية فقد وصفها
Arnaud في الجريدة الآسيوية المجموعة السابقة ٣٢ (١٨٧٤) ص ٣ وما بعدها
(٢) راجع مروج الذهب (طبعة باريه دي مينارد) ج ٣ ص ٣٨٧
وما يليها والتويرى Pimoe lineae Rerum Arab icarum ص ١٦٦
وما يليها

(٣) ربما كان قصة الهجرة من مأرب — التي ذكرت —
أساس تاريخي ولكن السد نفسه لم يهدم كله إلا بعد دمر طويل ، وإن
التفوش التي عثر عليها منقوشة في الصخور الباقية منه ليستدل منها على أنه
ظل قائماً حتى منتصف القرن السادس الميلادي وإن أول فيضان معروف قد
وقع بين عامي ٤٤٧ — ٤٥٠ م كما أعاد بناء بعض أجزاء السد وارهة
الحبصى ، وإلى اليمن بين ٥٣٩ — ٥٤٢ م . راجع ذلك في « كتابات
في انفجار سد مأرب لجلسير »

E. Glaser: Zuli Inachaiten ueber den Dambruch von
Mârip (Mitteilnngen der Vorderasiatischen Gesellschaft. 1697.)

(٤) يقول الأستاذ نيكلسون إنه كان من عادة عمرو بن عامر أن يمزق
ثوب نهاره كلما جن الماء . أما صاحب كتاب « النيجان في ملوك حير »
فيقول « صبي مزقياً لأنه كانت تنسج له في كل سنة ثلثائة وستون حلة ثم
يأذن للناس في الدخول فإذا أرادوا الخروج استلبت عنه وتمزق قطعاً ولذلك
صبي مزقياً » ص ٣٦٢ طبعة حيدرآباد الدكن سنة ١٣٤٧ هـ (المترجم)
(٥) وقد قال في ذلك أحد الشعراء :

ولد همد لدمامرش بلكيس همدد وخرّب حفر الفأرسداً لمأرب
(المترجم)

وأرصد سداً من حديد إذا بدا
ومن عين قطرٍ مترعاً ليس بظهورٍ
رعى فيه بأجرجاً ومأجوجاً عنوةً
إلى يومٍ تدعى للحساب وتُنشر^(١)

(تبع)

ترجمة محمد مهدي

الصبح الجيلة « (راجع ما كتبه D. H. Muller في S. B. W. A. مجلد ٩٧ من ٩٣٧ وما بينها) ونجد في القوش المينية « عشر الحاملة وعشر الواقعة » (شرح من ١٠٣٣) أضف إلى ذلك أن عشر والله يذكران في أقدم القوش دائماً مقروين بضمهما بعض . أما « الفه » (وهي فينوس أو الزهرة كما يذكر الهمداني) فيعتبرها علماء الآثار القديمة من العرب بقرين ، أما عن « قرن » بمعنى « أشعة أو ضوء » فراجع ج ١ ص ١١٤ من كتاب جولدزهر Abhand - zur Arab. Philologie ولا يحوم كثير من الشك في إضافة اسمي « ذي القرنين وبقريس » إلى الأمثلة العدة لهذا التعبير الذي بواسطته استطاعت كثير من آلهة الوثنية أن تظل قائمة في ظل الإسلام بعد أن تنكرت بأسماء مختلفة

Von Kremer Altarabis-che Gedichte ueber qei Vol- (١)
kssage von Jemen P. 15 (No. viii, 6 seg)
وهذه الأبيات لحسان بن ثابت شاعر الرسول

المأسى التاريخية الكبرى

بقلم الأستاذ حسن الشريف

هذا كتاب يجمل بكل شرق أن يقرأه وأن يطيل فيه التفكير فإن كل فصل من فصوله الأربعة والعشرين يحتوي درساً بليغاً يتحدثنا أننا نعرف من مدينة أوروبا سوى مظاهرها الزاهية وألوانها البراقة ، وأننا نجعل ما وراء هذه المظاهر والألوان من فضائح يشور لهولها الضمير البشري وينسدى من عارها جبين التاريخ . نعم ليقرأ الشريون هذا الكتاب ليتعلموا منه كيف يعزرون بمدينة أسلافهم إذا هي وضعت في ميزان الحقائق إلى جانب مدينة الفريين ، فإن تلك المأسى التاريخية الكبرى مرآة صادقة تنجل فيها مقام أزمى المصور في تاريخ أوروبا وغاى أعظم الملوك وأغنى الأسماء في تلك المصور . وهي فوق ذلك تحفة أدبية نفيسة تمتاز برشاقة الأسلوب وروعة التصوير فلا غنية عنها المدرس ولا للطالب ولا للأديب أطلبوا هذا الكتاب المتع من مكاتب القاهرة المعروفة ومن مكتبة فيكتوريا بالاسكندرية بشارع سعد زغلول وثمانه ١٥ قرشا صاعاً

انفجار سد مأرب وتلاشي السبئين الذين أقاموه^(١)
أما تبع الأول — الذى أطلق لقبه مؤرخو المسلمين على من خلفه من ملوك حمير فيسمى « حارث الرائي » لأنه زين بيوت قومه بالفنم والأسلاب مما جلبه معه — كفايح — من الهند وأذربيجان^(٢) ، أما عن التباينة الذين لولا الحكم بعده فإن بعضهم يدين بدرجه في سلسلة حمير إلى النساءين الذين كان احترامهم للقرآن يفوق دقتهم النقدية كما حدث مثل هذا بشأن المخلوق الخرافي صعب ذى القرنين ، وإن الأبيات التالية لتخط بينه وبين ذى القرنين المجيب الوارد نبؤه في القرآن والذي يعتبره معظم المفسرين نفس الأسكندر الأكبر^(٣)
لنا ملك ذى القرنين هل نال ملكه

من البشر المخلوق خلق مصور؟
نوى ثم يلو الشمس عند غروبها
لينظرها في عينها حين تدحر
ويسمو إليها حين تطلع غدوةً
ليلمحا في رجبها حين تظهر
دليلاً بأسباب السماء نهاره^(٤) وليلاً رقيقاً دائماً ليس يفتر

(١) وقد وجد الوصف التالى محفوراً على حجر من الفراميد الصخرية التى وصفها أرنود فى الجريدة الآسيوية بضميرين (بتشديد الياء وكسرهما) ابن سم على بنوف أمير ساء قد تفج جبل البق وبنى السدود (وتسى رجب) لتنظيم الرى وميللر (المرجع السابق من ٩٦٥)

(٢) لم ترد بناتا كلتا « حمير وتبع » فى القوش القديمة ، أما فى الحديثة فلم ترد إلا قليلا جدا

(٣) يقصد ما جاء فى سورة الكهف (ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا ، إنا مكانه فى الأرض وآتيناه من كل شىء سببا فأتبع سببا ، حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين إما أن تذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا ، قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا ، وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسى وسنقول له من أمرنا يسرا ، ثم أتبع سببا ، حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سورا كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ، ثم أتبع سببا ، حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا ، قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ؟ قال ما مكى فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما ، آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدين قال انفضوا ، حتى إذا جمه نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا ، فاستطاعوا أن يظفروه وما استطاعوا له نجا) (الترجم)

(٤) وصف الهمداني فى كتابه جزيرة العرب (من ٣٦ من ١٠) ذا القرنين بأنه « ساح الأرض » وإذا ترك مجال التاريخ الأدب لحظة لأشرح الحرافة التى تصرب من خلال هذه الأبيات ، فيظهر لى أن « ذا القرنين » إما يقصد به الألهة السبئية « عشر » التى تمثل « نجمة

اشتركت والكلاب الميت ، فقد كان خلاصك هذه المرة في إسفافك إلى هذه المهادى ، ولكنك لن تسلم في الثانية فاذهب من هذه المدينة وإلا فاني قافز غدا فوق جثة أخرى

قال الرجل هذا وتوارى وتابع زارا سيره في الشوارع المظلمة . ولما بلغ باب المدينة التي حفار القبور فوجهوا إلى رأسه أشمة مصابيحهم وإذا عرفوا فيه زارا أشبهوه مسخرية وهزءا وقلوا :
— مرحى يا زارا ! لقد صرت الآن حفاراً للقبور ؛ إنك تحمل

الكلاب الميت . لقد أحسنت ، فان أيدينا أظهر من أن تدنس بجثته . أتريد يا زارا أن تحتلس من الشيطان طعامه ؟ كل هنيئاً ! ولكن الشيطان أمهر منك ، ولله يسرقكاً كلينكاً فيلهمكاً التهاما ودار حفار القبور زارا يتفرسون فيه . أما هو فلزم الصمت وسار في طريقه . وبعد أن مشى ساعتين يقطع الأجراف والمستنقعات ، شعر بالجوع لكثرة ما عوت حوله الذئاب الجائعة ، فوقف أمام بيت منفرد لاحت له الأنوار من نوافذه . وقال : لقد

عضى الجوع وداهمني كالاص بين الأجراف في الليل البهيم إن لجوعي نزواتٍ مستغربة وقد يداهني حتى بعد الطعام ، ولكنه اليوم ندى عنى منذ الصباح حتى المساء فإين كان هذا الجوع ؟ وطرق زارا باب البيت فظهر له منه شيخ يحمل مشعلاً ، وقال له : من الآتى إلى ؟ وإلى رقادى المضطرب ؟ فأجاب زارا : أتيناك اثنين حتى وميت ، أعطنى ما كلاً ومشرّباً فقد نسيت الغذاء النهار بطوله ، إن من يشبع الجياع يولى نفسه قوة ، هكذا قالت الحكمة فذاب الشيخ وعاد بخبزٍ وتمر وقال :

— إنها لأماكن موحشة للجياع ، وذلك ما دعانى إلى السكن هنا حيث يهرع إلى البشر والحيوان في وحدتى . أفلا تدعو رفيقك ليأكل ويشرب معك فهو أشد تعباً منك فقال زارا : إن رفيق ميت ولايسهل على اقناعه بتناول الطعام . فتمتم الشيخ : ذلك لايمهنى ؛ إن من يطرق بابى عليه أن يأخذ ما أقدمه له . كلوا هنيئاً

وعاد زارا إلى السير فشى ساعتين أيضاً وهو يهتدى إلى رسوم الطريق بنور النجوم ، وقد كان معتاداً السرى ويجب أن يتفرس في كل شىء راقه . وعند ما لاح الصباح كان زارا وصل

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فرديريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

— ٣ —

— ٧ —

وأسمى السماء مرخياً سدوله على الساحة فتفرق عنها المتفرجون وقد أرهقهم الفضول والعب ، وبقى زارا جالساً على الأرض قرب الميت فاستغرق في تفكيره ناسياً مرور الزمان حتى هبت نفحات الليل عليه منفرداً ، فناجى نفسه قائلاً :
لقد كان سيدك موقفاً اليوم يا زارا ! لقد أفلت الناس منك فاصطدت جثة هامدة

إن حياة الانسان محفوفة بالأخطار ، وهى فوق ذلك لا معنى لها ... فان مبرحاً يمكن أن يقضى عليها أريد أن أهدم الناس معنى وجودهم ليدركوا أن الانسان الكامل إنما هو البرق الساطع من النجوم السوداء من الانسان ولكننى لم أزل بعيداً عن هؤلاء الناس وفكرتى بعيدة عن مداركهم ، فأنا لم أزل متوسطاً المدى بين مجنون وجثة هامدة إن الليل مظلم ومسالك زارا مظلمة أيضاً . تعال أيها الرقيق المتيسر في حقيقته ! إننى ذاهب بك إلى حيث أواريك التراب ييدى

— ٨ —

ورفع زارا الجثة على كاهله ومشى ، ولكنه ما قطع مائة خطوة حتى زحمة رجل ؛ وما كان هذا الرجل إلا مهرج البرج ، فأمر إليه في أذنه :

— اذهب من هذه المدينة يا زارا فان مفضيك فيها كثيرون . هنا يكرهك أهل السلاح والعدل ، فيصفونك بالمدو والمزدري ، ويكرهك المؤمنون بالدين الحق فيرون بك خطراً على عامة الناس ، وقد كان من حظك أن هزأ الحشد بك لأنك كنت تتكلم كالمهزجين ، وكان من حظك أيضاً أن

يتخذهم من يحفرون سنناً جديدة على ألواح جديدة
إن من يطلب المبدع إنعام الحصاد يماونونه في الحصاد لأن
كل شيء قد أصبح في عينه ناضجاً للحصاد ، ولكن المائة منجل
ليست بين يديه فهو يتميز غضباً ويقنع السنايل من أصولها
إن المبدع يطلب رفاقه بين من يعرفون أن يشهدوا مناجلهم ،
وسوف يدعمون الناس هدامين ومسمرين بالخير والشر ، غير أنهم
يكونون هم الحاصدين والمحفظين بالعيد

إن زارا يطلب من كانوا مثله جديعين يشاركونه في الحصاد
وفي الراحة فلا حاجة له بالقطعان والرعاة وأشلاء الأموات
وأنت يارفتي الأول ، ارقد بسلام لقد أحسنت دفنك في
فراغ الشجرة ووقيتك افتراس الذئاب

غير أنني سأفترق عنك لأن الزمان قد مر سريعاً ، وقد
انبتقت حقيقة جديدة في أفق نفسي ما بين فجرين

لن أكون راعياً ، ولن أكون حفار قبور ، وسوف
لا أفق بعد الآن في الجماعات خطياً فقد وجهت آخر حظي
إلى ميت

أريد أن أنضم إلى البديعين ، إلى أولئك الذين يحمسون
ويرتاحون فأريهم قوس قزح والمراتب التي يرقاها الواصلون إلى
الإنسانية الكاملة

سأهتف بنشيدى للمعتزلين ولن يشعر بمتنوبته في انفراده
أنتي سأملاً بنبطي قلب كل من له أذنان تصغيان إلى ما لم تسمه
أذن بعد

إنني أسير إلى هدى وأتبع طريق فأفترق فوق التردد
والتأخرين ، وهكذا سيكون سيرى جنوباً إلى الغروب

— ١٠ —

وكان زارا يناجي نفسه بهذا القول والشمس في الهاجرة
وإذا به يسمع صوتاً جارحاً في الفضاء ولاح له نسر يقعد حلقات
في طيرانه وقد تملقت به أفق وما كان يقبض عليها بمخبطيه
كفريسة ، بل كانت ملتفة حول عنقه التفاف المحب

فهتف زارا والحبور عللاً فؤاده : هذان نسرى وأفماي ، فهو
أشد الحيوانات افتخاراً ، وهي أشدها مكرراً تحت الشمس ؛ وكلاهما
ذاهبان مستكشفيان في الفضاء ليعلما ما إذا كان زارا لم يزل في

إلى غابة كثيفة حيث انقطع كل طريق أمامه ، فتوقف ووضع
الجثة في فراغ شجرة حواها حتى رأسها ليقبها هجمات الذئاب ،
ورقد بعد ذلك متوسداً نبات الأرض وما عم حتى استغرق في
نومه منهوك الجسم مرتاح الضمير

— ٩ —

وطال نوم زارا حتى غمرت وجهه أنوار الضحى بعد أن
داعبته تباشير الفجر ففتح عينيه مهوئاً وسرح أبصاره على الغاب
ثم حولها يستكشف نفسه ساكناً مستغرباً
وهب من مجلسه فجأة كما هب الملاح تبدو لعينه الأرض ،
فهتف وقد هزه المرح لأنه اكتشف حقيقة جديدة يخاطب
قلبه قائلاً

لقد انفتحت عيناى . إننى بحاجة إلى رفاق أحياء لا إلى
رفاق أموات وجثث أحلمهم إلى حيث أريد

إننى أطلب رفاقاً أحياء ليتعمقوا لأنهم يريدون أن يتعمقوا
أنفسهم أيان توجهت

لقد انفتحت عيناى ، ليس على زارا أن يخاطب جماعات بل
عليه أن يخاطب رفاقاً ، يجب ألا يكون زارا راعياً للقطيع
وكلباً له

إننى ما جئت إلا لأخلص خرافاً عديدة من القطيع ، وسوف
يتعمد الشعب والقطيع على . إن زارا يريد أن يعامله الرعاة
معاملتهم للصوف

قلت رعاة غير أنهم يدعون بالصالحين والمعادلين . قلت رعاة
غير أنهم يدعون بالثومنين بالدين الحق

أنظروا إلى أهل الصلاح والعدل لتعلموا من هو ألد أعدائهم ،
إنه من يحطم الألواح التي حفروا عليها سنهم ذلك هو الهدام
ذلك هو المجرم — غير أنه هو المبدع

أنظروا إلى الثومنين بجميع المعتقدات تعلموا من هو ألد
أعدائهم إنه من يحطم الألواح التي حفروا عليها سنهم ، ذلك هو
الهدام ، ذلك هو المجرم غير أنه هو المبدع

إلى بالرفاق . إننى أطلبهم مبدعين ولا أطلبهم جثثاً
وقطماناً ومؤمنين

إن المبدع لا يتخذ له رفاقاً إلا من كانوا مثله مبدعين ، إنه

على شواطئ البسفور للأستاذ محمد بهجة الأثرى

فروض أرج العطر وجو غنج سعد
أنيق الوشى كالجيد إذا زيتة القند
فيا عاشق دنياه ... هنا الدنيا ، هنا الدنيا

يحار الفكر إن جال بما يشهد من حسن
فما يؤثر أو يهوى وما يبعد أريدنى !
إذا أعجبه سرأى رأى أعجب فى الشأن
فلا ينفك مسحوراً كأخوذ ابنة الدن
فيا عاشق دنياه ... هنا الدنيا ، هنا الدنيا

شهدت الحسن مطبوعاً كما أبصرت مصنوعاً
ورمت الحب مبذولاً فما صادفت ممنوعاً
وشمت الخلد سرأياً وكان الخلد مسموعاً
وأقيت شتات الحد ن فى « البسفور » مجموعاً
فيا عاشق دنياه ... هنا الدنيا ، هنا الدنيا

حسان كمدارى الخلا د يمرحن زرافات
كأن آذار أبداهن فى الآفاق باقات
فهن الزهر فى الروض نشرن الحسن طاقات
وهن الزهر فى الآفاق نزلن الأرض غادات
فيا عاشق دنياه ... هنا الدنيا ، هنا الدنيا

كأن الدهر بالغايات كالأزهار نيسان
فهل غاب عن الخلد رقيب الخلد رضوان
نشأوى مثل رائيه ن بالاعجاب نشوان
يتمن ربوع الأنا س حيث الحب ألحان
فيا عاشق دنياه ... هنا الدنيا ، هنا الدنيا

أغلف وأغاريد لها يطرب محزون

هنا الدنيا هنا الدنيا ألا ما أحسن العنيا
رؤاه كغم الصبح إذا افتتر عن العجر
على الأفق ، على الروض على البر ، على البحر
كأن الأرض قد قامت على الرقصة والزسر
سرور أينما سرت وعرس لم يزل يجرى
فيا عاشق دنياه ... هنا الدنيا ، هنا الدنيا

صفاء الأفق كالبحر ولون البحر كالإفق
فن يرنو إلى تحت كمن يرنو إلى فوق
يشم الأفق مطبوعاً على البحر بلا فرق
كأن البحر دون الأفق أمسى مطلق الزرق
فيا عاشق دنياه ... هنا الدنيا ، هنا الدنيا

رباع كجنان الخلد لآحر ولا برد
جباها فى ضحى آب كما ينفعه الورد

الحياة ، فهل أنا لم أزل حياً بعد؟

لقد اعترضنى من الهاطر بين الناس ما لم أجد مثله بين
الحيوانات ؛ إننى أتبع السبل الخطرة فلاقتدين بنسرى وأفماى
وتذكر زارا حينئذ القديس المنزل فى القاب فتشهد وقال :
لأكون أوفر ؛ حكمة لا تكون ما كرا كأفماى ؛ غير أننى
أطلب المتحيل لذلك أتوسل إلى افتخارى أن يلازم حكمتى
ولا ينفصل عنها
وإذا ما تخلت حكمتى عنى يوماً وهى تتوق إلى الطيران
وأسفاه فأنى أرجو أن يطير افتخارى مستصحباً جنونى

وهكذا بدا جنوح زارا إلى المنيب

فليكسى فارس

(تابع)

والرياحين هامسات إلى المر ج كهس الضمير في خلواته
قائمات على الربى ساجدات كسجود التسقي في صلواته
كل ما في الوجود ديا ملكة الرو ض يشعُّ الجمال من قسياته

إيه يازهرتى ! لقد أشرق الرو ضُ رسال الندى على وجناته
فأرشنى النور من سنا الصبح رفا فا تلذ النفوس من رشفاته
وابسى فالحياة حلم ويمضى ويفيق الفؤاد من سكراته

إيه يازهرتى ! لقد صدح الطير رفهز الوجود من صدحاته
فأص في النفس لحنه فشجأها وأذاب الفؤاد من نغماته
فهبه من وجهك الطلق وحيا يتلى من سحره أغنياته

إيه يازهرتى ! لقد أسفر الكون ن وراق الجمال في جنباته
لم تبتكين ؟ جفَّت ذلك الدم مع وصوى عن البكا قطراته
لا يرُك الزمان إن نثر الزهر ر وأفى النضير من ورقاته
لا يركب المذابُ إن ملاً الكون ن فكلَّ معذب في حياته
(القاهرة) أحمد نقي مرسى

بلحن الطير في الأيك يناغيهن قانون
تير الروح بالشدو كما ينشر مدفون
تغنيها الرياحين كما استضحك مفتون
فيا عاشق دنياه ... هنا الدنيا ، هنا الدنيا

لديها متعة السمع وفيها شهوة العين
تمالى الله ما أقدر أن يجمع حسنين
وما أحسن أن تلذ (م) بانين شهيين
بريشين بلا إثم جميلين بلا شين
فيا عاشق دنياه ... هنا الدنيا ، هنا الدنيا

حياة لم ينقصها سوى ذكرى لأوطاني
أرى البسفور باماً فأبكي نعر «بندان»
نيا من أفتها الحسن ولم تنعم بعمران
كأن لم تك في الدهر جمال العالم الفاني
فيا شقوة «بندان» إذا لم تشبه الدنيا !
(بفرد) محمد بهجة الأندلسى

في سماع الضمير

مناجاة زهرة

بقلم أحمد فتحي مرسى

قصة الكفاح بين روما وقرطاجنة

لتوفيق الطويل

أروع مأساة في تاريخ الانسانية بأسرها : أمة تفتى
في ساحة الجهاد وتتوارى من التاريخ .
صدر في ٣٣٦ صفحة وثلاث خرائط وأربعين صورة
المن ١٢ قرشاً عدا أجرة البريد ويطلب من المؤلف
بلجنة الجامعيين لنشر العلم ٢٢ شارع المناخ مصر -
ومن مكتبة النهضة أمام جريدة الأهرام ، والتجارية
بشارع محمد علي وغيرها من المكاتب الشهيرة

إيه يازهرتى ! لقد أقبل العج
والشعاع الحبيب قد فاض في القا
والنسيم الخي يهبث بالنص
قد مضى يوقظ الزهور ويسرى
رق حتى كأنه لمسة العنق
والقراش الوديع يرتشف الضوء
يلتوى كالقطاة أخطأها الرا
رُ يفيض الضياء من بساتنه
ب فأحيا الدفين من أمنياته
ن ويثنى الندى من زهراته
طاباً فوق نثرها قبيلاته
ل ومسُّ الرقيق من أمملاته
ء ويروي صداه من لحاته
مى فواحت تمديد عن رمياته

القصص

قدح القهوة ثم انقلب إلى كوخه الصغير بين غلاميه وماشيته
وكان مصطفي قد أخذ لنفسه محراباً للعبادة في ظل تلك
الشجرة ، فإذا انشق النسيم عن غرة الفجر قام إلى قناة الماء
فاغتسل ثم جثا في المحراب بقلب سليم ، وكانت هذا حاله في
المواقيت الخيمة

فكان الله في عونهِ حتى ترعرع الغلامان ، وجاوز حسن سن
الخامسة عشرة ولحق به أخوه يونس ، وزكا الزرع ودر الضرع
وسال النصار بكف الشيخ مسيل الماء في حقله ، فلم تطفه
أخلاف الرزق وسمة العيش ، وعكف على تثقيف ولديه في مكتب
القرية ، فحذق حسن فن الكتابة والحساب ؛ أما أخوه فكان
غافل اللب ، ينسل من المكتب مع رفقة له فيتسكمون في دروب
القرية حتى خرج غراً جاهلاً لا يحسن شيئاً ، ولم تجد فيه نصائح
أبيه الشيخ ، ولا نالت منه سياط التأديب ولا وجيفة التقيد ؛
فكان يفر من الكوخ ويبيت ليله بالمرء . وكان حسن يتميز
رحمة وحناناً بيونس ؛ فكأن يتق بساعديه سياط أبيه ويقاسم
أخاه بلائ التأديب

وطرقهم طارق بليل ، وكانت ليلة قرها زمهرير وريحها
عاصف ، فهزت كلاهم بياب الكوخ ونهض الشيخ إلى غدارة
له بالجدار عامرة بأسباب الموت . وكان حسن قد نما عوده ،
واستقام كاهله كأحسن ما تقوم أبدان الرجال ، فتصدى لأبيه
وتناول منه آلة الموت ، وخرج إلى الفناء وأبوه يرقبه بيمين
سقر ويديه هراوة

ورأى حسن شبحاً قد التقط هامين من الخراف ، وتجاوز
السياج بهما فانطلق في أثره حتى حازه ، وسدد إليه القذيفة ،
ولكنه تعرف السارق في عدوه ، ولمح من وميض الأفق تصاویر
بدنه ، فألقى الغدارة ولحق به ؛ وصحت فراسته فقد كان أخاه
يونس . وقال له حسن خل الخراف لثلا يلحق بنا أبوك فان يديه

تذكرة سفر من طنطا إلى سقر للأستاذ إبراهيم جلال بك وكيل محكمة الزقازيق الأهلية

كان بإحدى ضواحي مدينة طنطا قروي له فتيان أحدهما
جيل الهيا ، مقتول المضل ، نام الرجولة ، كأبيه في الاستقامة
والدأب على حرث الحقل ورعاية الشاشية واسمه حسن . أما الآخر
وهو يونس فكان على تقيض أخيه ، خامل الذكر ، دائم التلوى
بمعاكسة جيرانه ، يسد مسيل الماء عنهم ، ويسرق أقطار
الذرة ، ويسلبهم دجاجهم وسائر ما يكتنون
وكان أبوهما مصطفي كهلاً أرمل ، ولكنه عرف بالنجدة
وصلابة العود ، قد أخرجته الجندية متين البدن ، وأكسبته
سكنى المروج الخضر حدة في البصر

ومانت زوجته والغلامان في الطفولة الأولى ، وكان قد ادخر
بقية من تقود الجندية فابتاع بها حقلاً زرعه نصف فدان وأحسن
القيام عليه حرثاً وإنباتاً ، وأقام تحت ظلال صفصافة عالية كوفا
صغيراً وسد به الحشائش الجافة وأضجع فيه طفليه وأخذ حوله
سياجاً من قصب الذرة ، وسهد في ناحية من السياج مناخاً
للدواب أسكن به شاة ذات أحمال وعنزات ستار . وكان الشيخ
قد عرف بحسن الرماية وإحسانها من عهد أن كان في مصاف
الجيش ، ولديه قلائد الشرف حازها بحسن بلائه وبسالته في فتوح
السودان . وقد رآه أهل القرية فداة المييد يحمل تلك القلائد
ويخطر في الدرب عند باب الممسة كما شهد له الصمدة بحسن
السمت حين حياه مملكاً في أدب الجنند وسكينتهم ، وحين تناول

المرأوة . ورفض يونس صاحباً ؛ وتعاهد الاخوان بالأبدى ،
وطمن قاييل هاويل وفر بالخراف . وجاء الشيخ يشتد ويده آلة
الموت التي رماها حسن ، وجثا بجانب الجريح وقال له : عجيب أمرك
والله ! كيف تلقى عنك سلاحك ثم تذهب الى اللص أعزل ؟ ومسح
الشيخ مقلتيه وحقق في شيخ السارق ، ثم بسط الغدارة على تلك
السواعد الخالدة وهم باطلاق التذيفة لولا أن قام اليه حسن
وانكفأ على صدره ، فطاشت التذيفة ونجا يونس وخلف
الخراف . وشق الله الجريح وردده الى أبيه فلاحا كادح زينة الفلمان
حماة القؤوس

واستبان الشيخ أن سارق الليل كان يونس

وجاء عيد الأضحى فنحر مصطفي كبشاً ، وجاد بأكثره على
الآبائ من بمجاز القرية وضمان أهل السبيل ، ثم جلس مع ابنه
حسن يا كلان شواء وزبدا .

وقال الغلام لأبيه : يا أبت إني راحل الى مصر غدا إن شاء
الله ، فقد أنقصوا أجره السفر كرامة لهذا الصيد . فقال الشيخ
يا بني إني لأجد في سفرك هذا خفوقا بين أضاللي لا أدري والله
له علة ولا سببا

وانطوى النهار وجاء الغد ، فخرج الشيخ بشبع غلامه الى
المدينة ، ودخلا المسجد الأحمدي ، وطافا حرمة مع الطائفين من
أهل القرية ، وصل الناس الظهيرة مهللين مكبرين ، ثم قاموا الى
المحلة ، أما مصطفي فإنه تناول جبين ابنه لثما وزفر أنفاساً محزونة
ثم توارى

ورأى حسن في غمار الناس أخاه يونس يرسف في أطواره
وزوى مسكنة وفاقة ، وقد غارت عيناه بين غضون الشقاء
والافتراق

وتعانق الأخوان ، وناح يونس من كبد نادمة موجعة ،
ونسى حسن جراحه السالفة وما فعل قاييل به وقال : « لا عليك
يا أخي ! وابتاع تذكريتين وحمل الى أخيه قرصين من خبز السميد »
واستقر الناس في العريبات في حلال العيد وحولهم قدورهم
وحلوام ، وأخبلت مساند القرية للشيوخ ، أما الولدان والرضع
فركبوا كواهل الآباء وحجور الأمهات
وتوالى ولوج هذا الركب المنكود بأفنية العريبات ، وامتد

مصافهم الى السقف ، حتى لقد أسبلوا من أبدانهم سترا كثيفاً
على النوافذ . وكرت العريبات في إثر القاطرة تنهب الأرض وركبها
لاه يرى انطواء الحقول والضياع والقرى كالصحف المصورة بيد
الطفل ينشرها ويطويها

وكان ذلك قدرا محتوما وإن كان مكتوما ، فنزل بالركب المسافر
موت فات الذين نوعوا أسباب الموت ، وغاب بهم الحساب عز
الذين يمدون على الأيام أنواع البلاء وألوان العذاب
ذلك أن سميروا من وقود جهنم فار من موطن الأقدام
وجوف العريبات كما فار الطوفان من أغوار مدينة نوح

وما كان الركب إلا أهل الفاقة والمسكنة عبيد الضائقة
المالية قد ذهب رب الحقل بما أنبتوا من قطن وبر ، ومشت
الحكومة بما شيتهم في الخراج . ولو كانت العريبات مفضية الى
بعضها لسارع الناس بالنجاة من باب الى باب وخلفوا النار تبا كما
بعضها ، ولكنها يا للحسرة الفاجعة ، كانت عليهم موصدة
عمد ممددة

وكشفت نوافذ العرية لمن يرجو النجاة وثبا ، فتقاطر كل
مقبل على الموت ليختار أحد السبيلين الى الآخرة أيهما أهون
عذابا . أغمرة الاحراق ، أم دق الأعناق ؟ ورأى أهل القرى
والحقول ضرام النار في أنونها المستمر ، وهالمهم نجيح الوقود
البشري ، وجن جنونهم لغفلة السائق واندفاعه بقاطراته كمجلات
الرومان الأولى نيط بها الأسرى في أغلامهم ، وحمل الموتى الى
مدينة بنها ، وعرضوا في فناء المستشفى وأسف الذين بهم رمق
وصاح النماة بأهل القرى فأقبل الشيخ الفاني مصطفي مخذول
الساقين ، زائغ البصر ، لا يدري ما كتب لولده حسن ؛ ودخل
فناء المستشفى في مشيخة من قريته ، فعرف الناس مواقم وعلا
النحيب من اليتيم والأرمل والشكى . أما مصطفي فقد دلف إلى
الاشلاء حبواً وكف بصره بدمع يحرق الأديم ، وأراد أن يرى
بمينه مبلغ الكارثة من فؤاده

فلح ولده العاق يونس قائماً يبكي وحول ساعديه العصاب
وعلى صدره اللغائف ، وقد نشر رداءه على جسد أخيه حسن
يحاول أن يخفيه عن بصر الشيخ المفجوع ، ولكن الشيخ رأى
بالبصيرة ما لم يره البصر !!
ابراهيم مهول

البريد الأدبي

أوجين أونيل الفائز بجائزة نوبل للآداب

ذكرنا في العدد الماضي أن الأكاديمية السويدية قد منحت جائزة نوبل للطب والفسولوجيا هذا العام إلى العلامة النموي الدكتور أوتولين والعلامة الانكليزي السير هنري هالت ديل والآن نذكر أنها منحت جائزة نوبل للآداب إلى الكاتب الأمريكي الشهير أوجين أونيل Eugene O'Neill

وأوجين أونيل هو أعظم كاتب مسرحي أمريكي في عصرنا ، اشتهرت قطعه التمثيلية في أمريكا وفي العالم القديم مما ؛ وكان له في سنة ١٨٨٨ مدينة نيويورك من أب ممثل شهير ، ودرس أوجين في هارفارد وقضى شبابه مضطرباً يعالج مختلف الأعمال ، وينتقل من بلد إلى بلد ، فاشتغل بحانا عن الذهب ، واشتغل بحاراً ، وصحفيًا غيراً ، وممثلاً ، وأحرز خبرة كبيرة في مختلف الأعمال ؛ وأصابه السل وهو في بدء شبابه ، فأودعه أبوه أحد المستشفيات ، وهناك كتب عدة قطع تمثيلية من فصل واحد ؛ ولما شفي عاد إلى كلية هارفارد وتلقى دروس الكتابة المسرحية على الأستاذ باكر ؛ ومثلت بعض قطعه المسرحية في الأقاليم فأصابته نجاحاً . وفي سنة ١٩١٩ ظهرت أولى قطعه الكبيرة بعنوان « ما وراء الأفق » Beyond the Horizon ، فنالت شهرة كبيرة ؛ وفي سنة ١٩٢١ ظهرت « الأمبراطور جونز » Emp · Jones فزادت في شهرته ؛ وفي سنة ١٩٢٢ ظهرت « أنا كرستي » Anna Christie ، ومن أشهر قطعه رواية « القرد النزير الشعر » The Hairy Ape وقد مثلت بنجاح عظيم في نيويورك ولندن . وظهرت بعد ذلك عدة قطع اشتهرت كلها في العالمين الجديد والقديم ومثلت في جميع المواسم الكبرى ، ومنها : Lazanus laughed (١٩٢٧) و Strange Interlude (١٩٢٨) . وقد امتازت روايات أونيل بأنها تعرض الحوادث النفسية للأشخاص على المسرح في ثوب جديد ساحر ، واشتهر بعضها

بالطويل حتى إنها تبلغ تسعة فصول ، وتستغرق في تمثيلها خمس ساعات ، ومع ذلك فقد اشتهرت بقوتها وعميق تأثيرها . وقد تقلب أونيل في الكتابة بين عدة مذاهب «الحقيقي» و«التصويري» والرمزي والنفسى ؛ وهو لا يعنى بشيء من الآراء والمذاهب السياسية والاقتصادية ، وكل ما يعنيه هو الفكرة الانسانية ، وماتمرضه في الحياة الوانعة ؛ وممظم الخوازم في قطعه تعرض الخيبة والفشل ، ويهزم الأشخاص لا يخطهم أو تقصيرهم ولكن بفعل الحظ والمصادفة ، وهي مؤثرات يفضها أونيل ويرى أنه لا حق لها أن تؤثر في حياة الفرد

جائزة نوبل للعلوم الطبيعية والكيمياء

ومنحت جائزة نوبل للعلوم الطبيعية للعلامة النموي الدكتور هيس والعلامة الأمريكي الدكتور هندرسون مناصفة بينهما ، ومنحت جائزة نوبل للكيمياء للعلامة الألماني الدكتور هيلاندي دربي من معهد برلين

وفاة شاعر مجري كبير

نمت الينا أبناء بودابست الأخيرة الكاتب والشاعر المجرى الكبير ديشو كوشتولاني D. Koszolanyi ، توفي في الثالث من نوفمبر بمنزله في بودابست بشارع تابور بعد مرض طويل . وكان مولده بقرية زياتكا من أعمال جنوب المجر ؛ وتلقى دراسته بجامعة بودابست ؛ واشتغل بادیء ذي بدء بالصحافة ؛ ثم كتب بعض القصص ونظم الشعر ؛ وترجم إلى المجرية عدة قطع خالدة من شكسبير ، وموليير ، وموباسان ، وفلده ، وغيرهم من الشعراء المحدثين من كل قطر وكل لغة . ومن أشهر مؤلفاته « الشاعر الدموي » وهي قصة رائمة عن عصر نيزون ، وقد ترجمت الى الانكليزية (The bloody Poet) ؛ وهو شاعر مجذوع عن الكلمة وقد استطاع أن يصوغ أعقد المسائل المعقدة المحدث في أجل

وأما جاك دي لا كرايتيل فهو كاتب وقصصى كبير ، وقد ولد بمصر ونشأ بها ؛ وكان بمصر في العام الماضي وألقى بعض محاضراته في القاهرة والاسكندرية ؛ وهو من أساتذة الشباب في القصة العاصرة ، بيد أنه يميل إلى النزعة القديمة ، وينتمى بنوع خاص إلى مدرسة الأب « ريفوست » ؛ ويؤثر الاستمراض الهادى للأحداث والفواجع ، وأسلوبه حاد ولكنه واضح . ومن أشهر قصصه « الحب الزوجى » و « الأستف العاليه »

أخبار الزمن في أخبار اليمن

أصدرت « مجلة الإسلام » Der Islam الألمانية فيما تصدره من دراسات لتاريخ الشرق الاسلامى وحضارته القسم الأول من مؤلف هام عن تاريخ اليمن ، هو « أبناء الزمن في أخبار اليمن » ليحيى بن الحسين بن المؤيد اليمنى . وقد وقف على طبعه وتصحيحه والتعليق عليه ومهد له في مقدمة طوبلة بالألمانية الدكتور محمد عبد الله ماضى عضو بعثة الامام محمد عبده ، وقال بتقديمه إجازة الدكتوراه في مايو الماضى . وهو يطبع لأول مرة عن مخطوط قديم ، ويتناول تاريخ اليمن في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع من الهجرة من سنة ٢٨٠ إلى سنة ٣٢٢ هـ . وقد أهدي الناشر ثمرة مجهوده إلى روح المرحوم الامام محمد عبده اعترافاً بفضلها ومآثره ؛ وسنعود إلى دراسة هذا السفر في فرصة أخرى

فكرة العصبية عند ابن خلدون

أصدرت مجلة « الإسلام » الألمانية كذلك في مطبوع خاص رسالة بالألمانية عن « فكرة العصبية في مقدمة ابن خلدون » - Der Asabija Begriff in der Muqaddima Ibn Halqun - وهي الرسالة التي تقدم بها صديقنا الدكتور طاهر خميرى مدرس اللغة العربية بكلية همبورج الى نيل إجازة الدكتوراه . ويشرح المؤلف نظرية الفيلسوف ابن خلدون في « العصبية » ، وأثرها في القبيلة وتكوين الملك بطريقة نقدية مقارنة ، وسنعود أيضاً الى استعراضها ودراستها في فرصة أخرى

الأساليب وأرقها ، ومن نظمه المجموعات الآتية : « بين جدران أريسة » (١٩٠٧) « أنين طفل » (١٩١٠) « السحر » (١٩١٢) « أخی » (١٩١٥) « بوبى » (١٩١٦) « الخبز والنبذ » (١٩٢٠) « أنين رجل محزون » (١٩٢١) العارية (١٩٢٧) وغيرها ، وقد ترجمت معظمها الى الانكليزية

في الاطاريحية الفرنسية

في الأنباء الأخيرة أن ثلاثة أعضاء جدد قد انتخبوا للجلوس في الأكاديمية الفرنسية والانتظام في سلك الخالدين ، وهم الأدميرال لاكاز وقد انتخب مكان السياسى الكبير جول كامبون ، والمونسنيور جرانت وقد انتخب مكان المؤرخ الكبير بييردى نولهاك ، والسيو جاك دي لا كرايتيل وقد انتخب مكان الشاعر والقصصى الكبير هنرى دي رينيه

وينتمى كل من الأعضاء الجدد إلى طراز خاص من التفكير ، فالأدميرال لاكاز من رجال الحرب ، ولكنه كاتب وخطيب كبير ؛ وهو اليوم في الخامسة والسبعين من عمره ، وكان وزيراً للبحرية ، وقائداً لأسطول الغواصات أيام الحرب الكبرى ؛ ومن تقاليد الأكاديمية أن يمثل فيها دائماً الى جانب أبطال الأدب ، أبطال العسكرية البارزين في التفكير والثقافة مثل الماريشال فوش الذى كان من أعضائها

وأما المونسنيور جرانت ، فهو على رغم كونه من رجال الدين ، كاتب ومؤرخ كبير ؛ وهو دكتور في الآداب ، وقد انتخب منذ سنة ١٩٢٨ لمنصب الأستف ، وكان من قبل مديراً للمعهد الكاثوليكي في ليل ؛ وله ثبت حافل من الكتب والمصنفات المختلفة نذكر منها : « عيوب التربية المنزلية الحالية » « بوسويه في متر » « تطور الشعائر والعبادات في باريس منذ الثورة إلى عصر البكونتوردوا » « شهداء سبتمبر سنة ١٧٩٣ » « رسالة إلى الشرق » وكثير غيرها ، وهو خطيب مفوه ومحاضر بارع ، وقد اشتهر بمحاضراته الدينية والاجتماعية التي يلقها من آن لآخر في الدواصم الأوروبية المختلفة



الفتيان المفضل ... من ابن البرازيلي بحمده في
مخازن ابن البرازيلي

العالم المسرحي والسينمائي

التأليف والترجمة للمسرح

مديرت لمؤسستنا زكي طلبيات

لناقد « الرسالة » الفني

الى المسرحية في اللسان العربي إلا منذ سبعمين عاما ، والأدب القديم خلوه منها على الرغم مما يذخر به من المخلفات الممتعة في مختلف العلوم والفنون

أدبنا العربي الحديث يفتقر الى الوراثة المهدبة في فن صياغة القطعة المسرحية . وليست له تقاليد فيها ، فنحن ما برحنا في دور النقل والتقليد والاستساغة ، نأخذ عن المسرح الغربي في صياغة مسرحياتنا وننحو نحوه ، ولا بد لنا أن نبحتاز هذه الرحلة قبل أن يستقر وضع أصيل للمسرحية المصرية . غير أن هذا لا يهجزني عن التصريح بأن بيننا نفرا من المؤلفين المصريين قد وقفوا كثيرا في تأليف روايات متينة البناء قوية الحكمة جاء حوارها قويا في سلاسة وسهولة . فهناك أمثال : (ابراهيم رمزي) ، (عباس علام) ، (المرحوم محمد تيمور) يأتون في مقدمة هذا النفر . وجاء أخيراً (توفيق الحكيم) فأضاف ذخيرة جديدة إلى محصولنا في آداب المسرحية المصرية

وأهم ما أخذه على أكثرية المؤلفين المصريين أنهم لا يحسنون العدة للتأليف ، فتحصيلهم سطحي مهزل ، ولذلك لم يكن غريباً يكرن نتاجهم فجاً . وأعترف ممن يكتبون للمسرح من لم يقرأ رواية أجنبية واحدة ، فاذا سألته عن شغفه بالتأليف أجابك في زهو أنه مواظب على حضور التمثيل في فرقة فلان أو فلانة

وأبين مواطن الضعف في المسرحية المصرية جهل بصياغة الرواية وحبكة حوادثها في منطق سليم يستثير اهتمام الجمهور في غير افتعال أو خروج على المقول ، كذلك ميل إلى معالجة الموضوع بطريقة سطحية يهدر فيها جانب الشخصيات في الرواية فيبدون نحفاء مهازيل من حيث التحليل النفسي . أما الأسلوب الذي يكتبون به فتعلموه مسحة من التكلف والتزوع إلى الاتيان بمجود اللفظ والمبالغة في سرد المترادفات والجود بالألفاظ في إسراف مريب . فاذا خلا من هذه الصيوب في بعض الأحيان ، فلنكن يقع في قص الحديث والسرد . وإذا قلت إن قليلاً ، وقليلاً جداً من مؤلفينا يحسنون جدل الحوار لما قررت غير الواقع .

قبل الفرقة القومية استقالة الأستاذ طلبيات ، كما ألفت وزارة المعارف انتدابه للعمل في هذه الفرقة ، فحرم المسرح في مصر من جهود شاب نشط مثقف أرسلته الحكومة الى فرنسا ليدرس التمثيل والاخراج كي تنتفع به في النهوض بهذا الفن ولستنا ندري حقيقة الدوافع التي حدثت بالأستاذ طلبيات الى تقديم استقالته ، ولكننا علمنا أنه ضمنها كتابه الذي رفعه الى الأستاذ الكبير محمد العشماوي بك وكيل وزارة المعارف ، ولذلك قصدت الى الأستاذ طلبيات وسألته أن يطلعني على صورة من هذا الكتاب ، فأبى ورفض أن يدلي بأية تفاصيل ، ولكنه أمام الالاح صرح بما يلي :

« لم أستقل لامن أجل زيادة مرتب أو طلب مركز أو خلافة ، وإنما استقلت لأنني غير قادر على تقوية ضعف أرى الفرقة تنساق اليه يوماً بعد يوم

كنت مغلول اليدين مشدوداً الى خشبة تمذيب ، أرى وأنألم وأصيح ولا يستمع لي أحد ، وهذا عذاب لا يطاق فاستقالتى إنما هي لأراحة ضميري »

ولم يرض الأستاذ طلبيات أن يزيد كلمة على هذا التصريح بل جعل ينتقل بالحديث من موضوع الى آخر حتى عمض لنا موضوع التأليف والترجمة للمسرح فوجهت اليه السؤال التالي : مارأيك في الروايات المصرية التي أخرجتها أو اطلمت عليها ؟ فأجاب « رأيت أن المسرحية المصرية لم تستكمل بمد مقومات نضوجها ، وما برحت تفتقر الى الطابع الأصيل الذي يميزها عن الرواية الغربية ، إذ لا يخفى عليك أن الجمهور المصري لم يتعرف

الرواية المسرحية شعبة من أدبنا المصرى الحديث
والأحظ أن أكثر مترجماتنا مأخوذ من الأدب الفرنسى ،
بل يكاد يكون مسرحنا (لاتينياً) فى نزعتة ، وما هذا بهجيب
فتفاننا لاتينية منذ القدم كما أن مزاجنا يكاد يتشابه بالمزاج
اللاتينى ، وذلك بحكم أننا من أبناء شواطئ البحر الأبيض
التوسط ومصر هى الضفة المقابلة لاطاليا

ولكن ما أحوجنا إلى أن نتعرف الجمهور والتأديون إلى آثار
الأدب الجرماني وأدب الشمال والأدب الأمريكى الشاب الذى
هو خلاصة آداب مجتمعة ، فمصرنا لم يتعرف بعد إلى «أبسن»
الزويجى و(استرنبرج) السويدى و(هوبمان) الألمانى و(أوجين
أونيل) الأمريكى

وأحب المؤلفين المسرحيين إلى م (مولير) الفرنسى ،
و(أبسن) الزويجى ، و(شاكسبير) الإنجليزى . ولعل خاص
عظيمة أعمال مولير لأنها علمتني الاعتدال (La mesure) ، وهى
صفة أفر بانتقارى إليها ، وطالما كان حظي الصغير منها سيبا فى
أخطاء أيتها فى حياتى ، ولأن فى مولير مجتمع كاملة شخصيات
الشاعر الانسانى ، والكاتب المسرحى والممثل ، فهو رجل
مسرح بحق

وتهزنى مآسى شاكسبير بروعتها ، وفيض هواطفها ، وهى
مأس عاطفيه تركزت فيها الانسانية بأسرها
أما (إبسن) فهو أبو المسرح الحديث وأستاذ أساتذة نوابغ
المسرح الغربى ، وهو الطود الشامخ وغيره السكشان الرملية
والتلال . وفى ضباب مآسيه غموض الحياة وظلم المعرفة الذى
لا تنفع علته ، وفى نضال شخصياته أروع مآسى الحياة الفكرية «
قلت له وما رأيك فى استخدام الخبير الفنى الذى تنوى وزارة

المعارف استخدامهم من الخارج ؟ فأجاب « سبق أن صرحت برأى
فى ذلك ، وهانذا أكرر ما قلته : وهو أن فى استخدامهم ما قد
يصرنا بما نحن علينا الأخذ به من وسائل ترقية المسرح
المصرى وإذاعة آثاره ؛ وأرجو أن توفق الوزارة فى اختيار أحد
الرجال البارزين فى المسرح الأوروبى ؛ ولعل فى استخدامهم
واضطلاعه بشؤون الفرقة القومية ما يقضى على أسباب الفوضى
المنتشرة فى هذه المنشأة الجديدة ، وهو الأمر الذى عجزت عنه
وأعيان أمراء »
بروف نادر

وأعتقد أنه يجب أن يمر زمن طويل حتى نحسن صناعة تأليف
الرواية المسرحية . والعلة فى هذا ترجع إلى أننا نعمل فى جديد
دخيل فى آدابنا

قلت له : « وما رأيك فى الروايات التى تترجم للمسرح
المصرى . ومن هو أحب المؤلفين إليك ؟ » وقد أجابنى قائلاً
« أكثر هذه المترجمات من هزبل الروايات الغربية ذات الصبغة
القائمة Melodrame أو ذات المواقف العنيفة المتعملة . وقد تهافت
أصحاب الفرق التمثيلية على نقل هذا النوع من الروايات لسهولة
إخراجه على المسرح ، ولأن نقله إلى العربية لا يحتاج إلى الكثير
من العناية الذى يتطلب زيادة الأجر فى نفقات الترجمة . هذا
فضلاً عن أن هذه الروايات تستهوى الأكثرية الغالبة من الجمهور ،
وهى أكثرية ساذجة التفكير لا تميل إلى إعمال الروية فيما يقدم
إليها على المسرح . ولا يخفى عليك أن الجمهور المصرى لم يتعود
إسخال الفكر فيما يراه فى دور الفو ، ولم يطلمه فن التمثيل باللسان
الغريب إلا منذ سبعمين عاماً ، وفن التمثيل ظاهره لهو وباطنه
تهذيب وتنقيف

ومن العجيب أن كثيراً من روايات « مولير » وبعض
روايات كورنبي وراسين ، وهم من عباقرة المؤلفين المسرحيين
قد نقلت إلى العربية فى أوائل عهد مصر بالتمثيل ولكنته كان
نقلاً مشوهاً مسخت فيه معالم تلك الروائع الفنية فخرج بعضها
يتعثر فى أسلوب من العامية والبعض الآخر يتنكر فى أسلوب
ركيك محشو بالسجع مطبوع بالتعابير (الكليشية) التى ميج
استعمالها وأنتكرتها الأذان

وقدمت عملية النقل فى السنوات الأخيرة ، وتنهت
وزارة المعارف أخيراً إلى ضرورة تغذية المسرح المصرى ببعض
من نفائس الأدب المسرحى فترجمت عدداً منها ترجمة أعوزجية ،
وقامت بطبعها متوخية فى عملها هذا أن يطلع المتأديون على أنفس
الذخائر الفنية فى المسرح الغربى ، وأن يتأثر بطابعها من يعالجون
التأليف المسرحى فى مصر . ولاغنى لنا عن المسرح الغربى فى
هذه المرحلة ، مرحلة الاستماعة ، ولكن هذا يجب ألا يصرفنا
بأى حال عن العناية بالرواية المصرية وتشجيع مؤلفيها . ويجب
ألا يكون قياسنا فى الحكم عليها ما يصره رؤوسنا من آثار نوابغ
المسرح الغربى ، فنحن ما برحنا فى دور المحاولة ، محاولة جمل